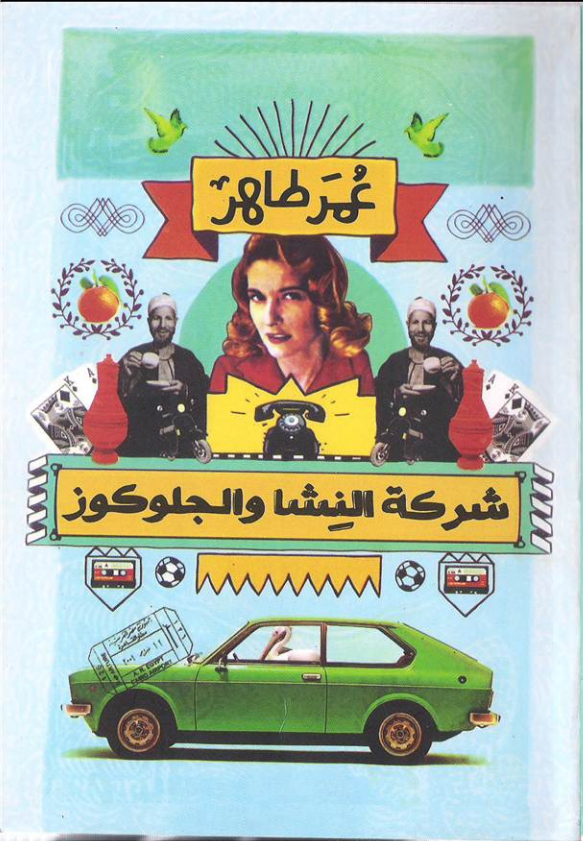

كيف تصبح (خالد حمدي) في ٦ خطوات؟

١- اجلس أمام التليفزيون وكلما قال الشيف شربينى وصفة ما اصرخ في وجهه بصوت عالٍ: "أنت كداب يا شربينى .. أنت كداب".

٢- اشتر بخمسة جنيهات طعمية وعند خروجك من المحل قم بإلقائها في الطاسة أثناء تحمير البطاطس وقل للبائع: (ما دمت قد خرّبت حياتك في هذا الركن من العالم فحياتك خراب أينما حللت) .

٣- اكتب خطابًا للبقال الموجود أسفل منزلك به جملة واحدة (ستموت أسرع مما تظن).

٤- اشتر تي شيرت واكتب عليها نظرية نجيب محفوظ (ثناء الضعيف لا قيمة له) وقدمها هدية لأضعف شخص في حياتك.

٥- اتصل بالأستاذ فهمي هويدي واعرض عليه بصراحة شديدة رأيك في شريط عمرو دياب الأخير.

٦- والآن .. قل لي ما الذي يجعلك تمتلك كل هذا الفضول لقراءة كلمات فارغة ترشدك للطريقة التي ستصبح بها خالد حمدي؟

لماذا تريد أن تصبح خالد حمدي؟

تصميم الغلاف **كريم آدم**

IBSN: 978 977 399 348 1

طبعة 2015

طاهر، عمر.

شركة النشا والجلوكوز / عمر طاهر – ط ١.- الجيزة: اطلس للنشر والانتاج الاعلامى، ٢٠١٤ .

١٣٦ ص، ٢٠ سم

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٣٩٩ ٣٤٨ ١

١- الاهاجاء الفكاهات العربية

٢- الأدب الشعبى

أ - العنوان

٨١٧

إهداء

لـ .. ثناء عُمر

زنة سخيفة تسيطر على أذني، أصبح النوم معها مستحيلًا، هي تفرض سطوتها عند النوم فقط عندما يغرق عالمي في الصمت.

ذهبت إلى الطبيب، أخبرني أنه أمر لا علاج له، تشريحيًّا هناك عصب ما قد فسد في منظومة أعصاب الأذن، هذا العصب لا يحمل الآن إلى المخ أية إشارات، المخ يسمع لا شيء فيقوم بترجمة الـ (لا شيء) إلى زنة.

قال لى الطبيب: عليك أن تجد خطة للتعامل مع الضيف الجديد الذي سيلازمك إلى الأبد، الخطة بسيطة، قليل من مضادات الاكتئاب تجعلك أكثر استيعابًا للأمر وتساعدك على تقبله، وما أن تصبح الزنة موجودة لكنك لا تهتم ستكون في حل من استخدام هذه الأدوية، فقط عليك أن تتقبل عيبها الوحيد وهو الأرق.

قلت له: إن الأرق يجعل المأساة تتفاقم، قال: لذلك سأكتب لك منومًا وعليك في الفترة القادمة أن تستقبل النوم كل يوم في صحبة الموسيقى، لا بد أن يطغى صوت ما على الزنة حتى تنعس تمامًا، أرشح لك موسيقى (بودا بار)، فى سن التاسعة والعشرين هجر (بودا) زوجته و أولاده ليصبح ناسكا، لا أصدق بودا و أعتقد أنه هجر بيته من أجل حب جديد انتهى بفشل قاده إلى أن يصبح ناسكا زاهدا

بعد أن خسر كل شيء، أسوء ما فى الحب، أنه لا يأتى أبدا فى الوقت المناسب، وأنه لا ينتهى، وأن وجعه الحقيقى لا يكمن فى الفراق ولكن فى الذكريات، وأنه يجعلك تكتشف أنك غيرت أشياء كانت مهمة فى شخصيتك وتخليت عن أشخاص كانوا مقربين وغيرت خطة حياتك الأصلية من أجل شخص لم يعد موجودا، وأنه يجعلك تفترض أن هذه العلاقة (اتجاه واحد) فلا تحسب حسابا لنهايتها لأي سبب فتقف فجأة مذهولا بعد أن كنت تستقل سيارة شخص قرر فجأة أن يتخلص منك في مكان مقطوع ليستكمل الطريق بمفرده (نصيحة في قصص الحب «لا تستقل مع أحد سيارته»)، أما إذا كنت صاحب السيارة فسيجعلك الحب تكتشف قيمة من تحبه متأخرا أو كما قال رامى صبرى «وابتديت اعرف غلاوته لما راح».

الشيء الوحيد الذى إذا (راح) لن أندم على غلاوته هى تلك (الزنة) التى تمسك بأذنى وأدويتها، ليس الأرق وحده هو الأثر الجانبى المرهق فى تلك الأدوية، ولكن الرغبة فى دخول الحمام أيضا، تقول نشرة الدواء أن العرض هو (الرغبة) فقط، يهىء لمتناول الدواء أنه بحاجة لدخول الحمام دون أن تتم ترجمة الرغبة إلى فعل، فى عصور قديمة كان هناك رجل يشكو من أن بوابة البيت الخلفية صارت مرحاضا عموميا ،كل من تداهمة نوبة التخلص

من الفضلات يلجيء إلى هذا المكان ، عندما استبد بالرجل الملل أشاع أن بوابة البيت الخلفى تفتح على مقام شيخ كبير مدفون فى حوش البيت، سألوه عن اسمه فقال (سيدى الأربعين)، الحيلة التى نجحت اكتشفها البعض فصار فى كل مكان فى القاهرة مقام لسيدى الأربعين، وعندما اكتشف العامة أن سيدى الأربعين مدفون فى أكثر من مئة مكان اعتبروها معجزة من معجزات الشيخ .

الناس غريبة، وهناك حكاية عن ثرى عظيم أفلس تماما فلم يكن أمامه إلا التسول فاشترى (قلتين) وكان يقف بهما يروى الناس مقابل قروش قليلة و لكن لم يفوته أنه باشا فاشترى قلتين ليمارس جبروته القديمة فكلما هم واحد أن يشرب من قلة نهره بشدة قائلا (سيب دى.. اشرب من التانية)، كانت فترة غريبة من عمر البلد، فعندما دخل عرابى الحرب ضد الإنجليز أهدوه الناس ثلاث مدافع واحد اسمه (السيد البدوى) والثانى (سيدى ابراهيم الدسوقى) والثالث (سيدى عبد العال)، كانت الناس طيبة وقتها وتعاقب اللص بالتجريس (الجلوس فى وضع معاكس فوق الحمار والمرور بالناس على هذا الوضع)، وتعاقب (الحشاش) بخلع الضرس، بالرغم من أنهم كانوا يسمون تاجر المخدرات (تحفجى) كونه يبيع تحفا مزاجية، وفى هذا الزمن فكر أحد الولاة فى حيلة يتخلص بها من

وزير ثقيل الدم دون أن يبدو الوالى ظالما فى عيون الناس، فخير الوزير بين الإعدام أو أن يحضر له – استغفر الله العظيم – شخصا (يقرب لربنا) .

وكان الوزير ثقيل الدم بما يكفى لأن يُحضر للوالى رجلا يدعى ذلك فسأله الوالى كيف تكون تلك القرابة ؟، فقال الرجل هناك شقيقتان ربنا أخد واحدة و أنا أخدت التانية ، كان الوالى أكثر غلاسة فقال للرجل هذة تعتبر علاقة نسب و ليست قرابة ثم أعدم الأثنين .

لاشىء يجعل الرجل مستفزا ثقيل الحضور إلا (الرغى)، وعندما خرج سيدنا يونس من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم ؟، فقال : الكلام صيرنى فى بطن الحوت.

ليت للحوت أذنين فيعرف المأساة التى أعيشها، من المؤكد أن تلك الزنة بدأت بخطأ صغير اقترفته ولن أتذكره من فرط عاديته، هناك أخطاء صغيرة يعتادها الواحد ولا يقلع عنها إلا بمصيبة كبيرة، هكذا تسير الحياة، وإذا كان المدخنون يعترضون على الصور القبيحة التي تزين علب الدخان الآن، فلا بد للواحد أن ينتصر للفكرة ويشكر صاحبها، جماليات الشكل في علب الدخان هي (جر رِجْل) للمراهقين سبق لنا أن وقعنا فيها عندما أعجبنا

بمثلثات المارلبورو الحمراء في المراهقة، قبل أن تفقد هذه المثلثات جاذبيتها بعد أن لطشها مصمم أغلفة علب شاي العروسة فصارت المثلثات الحمراء ضهر ورقة التسعيرة فوق عربات الخضار بعد أن كانت علامة التميز في الجيب العلوي الشفاف للقمصان النصف كم الصيفي، تلك الصور القبيحة ستقطع الباب على الأقل أمام فئة تحمل علب الدخان للمنظرة.

كنت أفكر في هذا بعد أن اهتزت جدران حمام كافيه على طريق الأسكندرية من كحة الشخص الواقف إلى جواري يعاني في سبيل التخلص من البول، بينما السيجارة تتدلى من فمه، هناك حكاية شائعة عن شخص طلب من شيخ أن يدعو له فقال له: «روح يا رب تاكل وتشخ»، اندهش الرجل من الدعاء الساذج وقال للشيخ: (خليهولك)، بعد شهور مات الرجل بعد أن انفجرت مثانته، فلتحمد الله يا صديقي على ما تراه حقوقًا مكتسبة.

قبل دخول الحمام كنت نائمًا طول الطريق، أفضل النوم على الطرق الطويلة لأن إيقاع السفر يفك مسامير الذاكرة، وسرعان ما سترى عبر شباك القطار أو السيارة أو الباص، كل من رحلوا عن حياتك يلوّحون لك من بعيد، الأموات يظهرون على الطرق

السريعة، فحاول أن تشغل نفسك بشيء أو فلتستلم لهم لكن ما ترجعش تشكي، أو كما قال نيتشة: «لا تحدق في الهاوية وإلا حدقت فيك»، فالجزاء من جنس العمل، وكلنا نستحق الشفقة مثل الرجل الذي يقف إلى جواري الآن يتمنى أن يعود شابًا سليمًا معافًا في صدره ومثانته، وددت أن أقول له: إن الشيخوخة صارت هي السمة المميزة للإنسانية في الألفية الجديدة، بغض النظر عن متوسط أعمار سكان الكوكب شاخت البشرية وتستعين على الحياة بالأجهزة والمستحضرات الطبية وعمليات التجميل والعلاج بالأعشاب، أو كما قال أحدهم من قبل أن البشرية تستطيع أن تصل إلى المريخ لكنها أصبحت عاجزة عن عبور الطريق لزيارة أحد الجيران.

أنا شخصيًا أحمد الله على أنني ما زلت قادرًا على التخلص من المياه الزائدة في الجسم، بل إنني أمتلك مهارة أن أفعل شيئين في الوقت نفسه، التخلص من المياه الزائدة والتفكير، كنت أفكر في معيار ضائع لتقييم حياتي بينما أقف وجهي إلى الحائط مستندًا بذراعي على طرفي المبولة ، تذكرت واحدا يقول إن المكان الذي يجب أن تصل إليه لا يقارن أبدًا بالمكان الذي تقف فيه الآن، يطالبك الخواجة (بيتس) أن تؤمن بهذه الفكرة حتى تتحرك، التوقف عن الحركة به سوء أدب مع تجربة الحياة، حركة لا تنقطع كالحياة

نفسها، يسألك (جونا ماث): إن كنت لن تسير الطريق إلى آخره طيب بتمشيه ليه أصلًا؟ ويخبرك (أينشتاين) عن سر دوام الحركة والمفتاح الذي يساعدك ألا تتوقف: المنطق ينقلك من النقطة واحد إلى النقطة رقم اثنين، لكن الخيال ينقلك إلى كل مكان، ولا يمتلك خيالًا سوى من يثق بنفسه، وهو الشخص الذي لا يخاف على عقله من الأفكار الجديدة أو كما قال (آدم أو سبورت): عندما يتمدد المخ بفعل فكرة جديدة فإنه لا يعود أبدًا إلى مقاسه القديم، القصص العظيمة في الكوكب تقوم كلها على تفصيلة درامية واحدة وهي أن البطل لم يستسلم (كما قال لوريانو)، أو كما قال (وليم والاس): كل الناس سيموتون، ولكن ليس كلهم سيعيشون، ويقول سيدنا علي: إذا هبت أمرًا فلتقع فيه فإن شر توقيه أعظم مما تخاف منه، وقال أحدهم شجاعة القلب هي الحكمة، بينما الحماقة هي شجاعة الوجه، ستواجه في مسيرتك الغوغاء، لكن اعلم أن الغوغاء ضرورة للحياة، الغوغاء إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا نفعوا، قال أحدهم: قد عرفنا مضرة اجتماعهم، فما الفائدة من تفرقهم؟ فقيل: بتفرقهم يرجع صاحب كل مهنة إلى مهنته فينتفع به الناس، في كل الأحوال عليك بالاستعانة على مشقة الطريق بالأصدقاء تحديدًا من النوع الذي قال عنه (والتر وينسل): الصديق هو الشخص الذي يدخل بينما الناس كلها (خارجين).

كنت أقول لنفسي: هذه ليست محاولة لادعاء الحكمة وأصلًا أصلًا يعني يقول (سقراط): إن الشخص الحكيم فعلًا هو الشخص الذي يؤمن بقوة إنه لا يعرف شيئًا، المشكلة أنني كنت أقف في مواجهة حائط أصم أنظر إليه بتمعن وإخلاص، وهذا أمر به شبهة حكمة، أو كمال (هنري ديفيد): ليس مهمًا على الإطلاق سؤال: ما الذي تنظر إليه؟ الأهم هو سؤال: أنت شايف إيه؟

و(أنا شايف) ضرورة عدم الاستسلام لأية قاعدة، عندك مثلًا القاعدة الطبية التي تحدد موضع المثانة في منتصف الجسم لا بد وأنها خاطئة، أشعر أن المثانة ولا بد أنها في المخ، وتذكر كم مرة تخلصت من المياه الزائدة فأدرت ظهرك للحمام سعيدًا وقد سيطر الصفاء بقوة على كل خلايا ذهنك.

عدم الاستسلام لأية قاعدة ليست عدمية منى .. إليك هذا التمرين مثلا :

لكل قاعدة استثناء

هذه قاعدة في حد ذاتها

ومن المؤكد أن لها استثناء

بما يعني أنه توجد قواعد بلا استثناء.

بما يعنى أن القاعدة التى ترددها كالببغاء منذ سنوات طلعت مضروبة .

هذا اكتشاف عظيم، لست متأكدًا من عظمته، فالأمور ليست كما تبدو دائمًا، أعرف يا صديقي أنك تحب إنجي في فيلم (رد قلبي)، وتصدق رقتها خاصة مع إطلالة فاتنة أيامها (مريم فخر الدين)، لكن لكي أصدقك القول لا بد أن تعرف كم كانت إنجي على قدر عالي من الندالة (ساعة ما شافت على بيقتل أخوها) ومع ذلك لم تمنعها المأساة من أن تجلس إلى جوار على في سرير المستشفى تضع له الكمادات وتسقيه عصير الليمونادة بنفسها وهي تسبل لها عينيها الملونتين حتى يحين ميعاد الجواز، بينما في اللحظة نفسها حسين رياض يتأمل من شباك المستشفى قوات جيش ثورة يوليو التى أعادت إليه صوته وهي (رايحه تحول قصر الأميرة شهينار لمدرسة القومية العربية المشتركة)، لكن هذا لا شيء مقارنة ب ٣ أجيال في السينما المصرية كانت كلها في ساعة مشهد عيد الميلاد تقف في صف واحد من الترابيزة اللي عليها التورته (الصف اللي مواجه للكاميرا) ، عادى أيضا .. غير العادى إن فيلم (رصيف نمرة خمسة) ممكن ينهار دراميًا كله في ثانية لو أن فريد شوقي (رد على التليفون اللي قال له: إن بنته عيانه) فأفقده سلاحه و أخرجه

من الخدمة، كان سينهار دراميا لو أنه رد على المكالمة وهو ممسكا ببندقيته بشكل عادى .. (ما حدش بيتكلم في التليفون بإيديه الاتنين يعنى)، لكن لا أحد توقف عند هذة التفصيلة ، وهناك ما هو أقوى من ذلك مثل أن عبد الحليم حافظ في معبودة الجماهير (كان بيحلم يبقى ممثل كبير ويقف قدام سهير لحد نص الفيلم، وفجأة ربنا كرمه آخر كرم مش في التمثيل لأ في الغنا، حليم كان نفسه يبقى ممثل بس كسر الدنيا كمطرب)، لكن يظل الواحد عاشق لأفلامنا حتى وهو متأكد أن فيلم (حياة أو موت) لم يكن ليخرج إلى النور لو أن حسين رياض كان (عنده ديلفري في الأجزاخانة).

يراهن كتاب السينما كثيرًا على الصدفة ونحن بدورنا نتهمهم بالسطحية، الصدفة إذا تتبعتها قد تقودك إلى الجنون.

وكنت قد قرأت كتابًا اهتم بالأحداث أكثر تأثيرًا في العالم كله، تحديدًا الأحداث التي كان للصدفة دورًا في اكتمالها، مثل (هدم سور برلين) ، فقد كانت شرارة هدمه جملة عابرة خرجت لا إراديًا من الناطق الرسمي للجنة المركزية للحزب الحاكم في ألمانيا الشرقية، كان السور مأساة مقيمة على مدى سنوات طويلة، وشهد مصرع الكثيرين في محاولة لعبوره، وكانت القصة الأسوأ

صيتًا للشاب بيتر فيختر (١٨ عامًا) الذي علق بين الأسوار الشائكة فوق السور، وترك ساعات طويلة يحتضر بسبب نزف شديد، بينما المصورون يلتقطون له الصور عبر الأسلاك الشائكة ويتابعون سكرات موته، في ليلة أم وفي حفل موسيقى في مدينة ليبيزيغ تجرأ الموسيقى الشهير كورت موزارت وقال أمام المئات دون سابق تخطيط: «لا نستطيع الاستمرار هكذا» بعدها بيومين كان هناك خمسون ألفًا في الشارع، وبعد أسبوع أصبحوا أكثر من مائة وخمسين ألفًا، اشتعل الموقف وأصبح الشعب في الشارع على وشك أن يهدم سور السجن الذي يحول بينه وبين أوربا الحديثة، وفي لقاء على الهواء على هامش الحدث مع الناطق الرسمي للحزب سأله أحد المراسلين: «متى سيسمح للمواطنين بحرية السفر؟» فقال دون أن يفكر: «يستطيعون أن يغادروا متى أرادوا ولن يمنعهم أحد». حركت الجملة العالم كله لدرجة أن أهل ألمانيا الغربية زحفوا باتجاه السور واعتلوه في انتظار فتح الأبواب أمام أهل ألمانيا الشرقية، كانت قوات الشرطة التي تحرس البوابات متربصة بحشد ألمانيا الشرقية ومدججة بالسلاح، وكانت تعلم أن الجملة كانت للاستهلاك الإعلامي، فهي لم تتسلم أوامر رسمية بالسماح بالسفر، ورابضت في أماكنها إلى أن أخطأ أحد الجنود الذين كانوا يبعدون الحشود

شعر باختناق فقام بفتح البوابة ليبتعد عن الحشد من أجل بعض الهواء فاندفعت الحشود من هذه الفتحة الصغيرة، اعتقدت حراسة بقية البوابات أن الأوامر قد وصلت ففتحوا البوابات أمام الحشود فانهار الجدار.

أقرأ كتبًا كثيرة حتى أكتب، القدرة على القراءة هي الشيء الوحيد الذي استفدته من مشوار التعليم الذي قطعته حتى نهايته.

لا يمكن اعتبار استكمال التعليم ميزة مطلقة.

مثلًا لو كان الأديب عباس العقاد أكمل تعليمه ولم يتوقف عند الابتدائية لكان أسلوبه الأدبي أسهل كثيرًا مما قرأنا، ولكنه (حب يعلّم) على حملة المؤهلات العليا فبالغ في أن يكون أسلوبه صعبًا دون أن يخل ذلك بحلاوة المعنى، فحول ما كان يفترض أن يخشى منه إلى موضع للفخر والإعجاب، يقول أجعص أديب في مصر مدللًا على موهبة العقاد: «إنه ده كله ومعاه الابتدائية بس»، صنع العقاد من مؤهل هزيل بابا يفتح على جنته الخاصة.

أفكر فى هذة اللحظة أن أقضم تفاحة تخرجنى من جنة غرفة النوم إلى مكان أكثر إثارة ، فكرت أن أخرج من الغرفة إلى الصالة،

لكن لا.. لن أذهب إلى صالة البيت، سأصير وحيدًا في مواجهة شاشة ٤٢ بوصة طالما أفسدت حياتي أنا وغيري ، يقضى المواطن يومه شبه سليم مشغولًا بلقمة عيشه كبرت أو صغرت، ويتفادى بمهارة حوارات الكآبة حتى يصل إلى نقطة الهدف في يومه، ثم يعود إلى منزله ليطل عليه عم الإعلامي بنظرية (الناس عمرها ما كانت مبسوطة)، يقضي وقتًا طويلًا في زرع الشعور بالخطر أو المؤامرة في وجدان هذا المواطن، أو كما قال أحدهم يبدأ برنامج التوك شو بمذيع يقول لك: مساء الخير، ثم يقضي ثلاث ساعات لينفي هذه المسألة فلا خير ولا يحزنون، فقط محاولات متنوعة لتبديد السلام النفسي.

حكى لي صديق توجه لطلب يد فتاة أنه كان يجلس مع الأب والأم في الصالون، بينما الجد يتابع لميس الحديدي في الصالة، الجد سمعه ضعيف طبعًا فاضطر لأن يرفع صوت لميس أكثر ما هو مرفوع، أقسم لي صديقي أنه من فرط التوتر الذي كانت تبثه لميس لم يقدر أن يقدم نفسه للأسرة بشكل صحيح، وكان مشوشًا بحيث أنه نسي أن يعرض مؤهلاته وقدراته كما يعرفها وأن المقابلة كانت فاشلة بكل ما تعنيه الكلمة، وأنه قضى ليلته يحلم بكابوس واحد عبارة عن الجد وقد تلبسته روح لميس فأصبح يتكلم بصوتها

صارخًا فيه: «وديتوا البلد في داهية، وديتوا البلد في داهية».. يقولها ثم يخلع سماعته الطبية من أذنه ويأكلها، وكلما أكل واحدة نبتت له واحدة أخرى. صديق آخر أقسم لي أن شخصية البواب تتغير بعد التاسعة مساءً ففي الصباح تملؤه الهمة والعافية ويحقق للسكان لك ما يتمنونه، لكنه لاحظ في الفترة الأخيرة أن البواب يسقط في خليط من الخمول والغباء بعد هذا الموعد، ثم لاحظ أن الغباء ينقلب عصبية وقلة ذوق في الرد على السكان، ثم أصبح معروفًا لدى السكان أن (مليجي) بيقفل موبايله بعد التاسعة ويتعثر في اختيار كلمات رقيقة تعبر عنه، إلى أن دخل صديقي غرفته ذات مساء بعد نصف ساعة من النداء الفاشل عليه فوجده أشبه بالمنوم مغناطيسيًا، بينما إبراهيم عيسى يزعق فيه: «بص عشان المسائل تبقى واضحة اوعى تفتكر إن حازم الببلاوي عمل كده شطارة يعني بطل بقى شغل بغبغانات».

لن أغادر غرفتي، سأحاول أن أشتت انتباهي بعيدًا عن الألم، هو ليس ألمًا بالمعنى الكلاسيكي، هي محض سخافة تمسك بتلابيب المخ، زنة لمبة فلورسنت في عيادة طبيب أسنان في باب اللوق، أفكر أن أجمع حواسي كلها في منطقة واحدة، علمني صديق ما أن أطيل النظر إلى التشققات في باطن قشرة اليوسفندي، النظر إليها بإخلاص لفترة طويلة يسحب أية كهرباء زائدة في المخ ويرتقي بك

درجة في التصنيف الإنساني، لكني أثق تمامًا أن تطبيق نظريته سيجعل التشققات تسحب مني المخ وتترك لي الكهرباء ، تزيد وطأة الزنة قليلًا، وأكبر ما أخشاه في هذه اللحظة أن تنقطع الكهرباء، انقطاعها يذكرني بمأساة جاري عماد.

أصبح (عماد) يخشى الصعود إلى شقته في الطابق السابع بإحدى البنايات القديمة مستخدمًا الأسانسير، هو قادر على التكيف مع أعراض الذبحة الصدرية الملازمة لصعود السلم ولا يعرف سبيلًا للتكيف مع عدة أمراض نفسية مركبة وأكثر من فوبيا شائعة هاجمته واكتشفها بعد أن تعطل به المصعد أكثر من مرة نتيجة انقطاع الكهرباء.

الخوف من أن يلمسك شخص مجهول تحديدًا في الظلام، وكان عماد متأكدًا أن سعيدًا البواب كان مثارًا جنسيًا لحظة انقطاع الكهرباء عليهما في المصعد وارتطامه به فليس طبيعيًا أن يكون هذا هو العادي بتاعه.

خوفه من انقطاع شبكة الهاتف المحمول،كان عماد قد غير شبكة المحمول التي يستخدمها عدة مرات؛ لأنه في كل مرة يفشل في الاتصال بأحد لينقذه، الخوف من أن ينساك الناس أو يفقدوا

اهتمامهم بك، كان عماد قد أخبر مدام منال أنه (بيركن وطالع) ولم تفكر مدام منال خلال ثلاث ساعات مرت بعد هذا التصريح دون ظهور لزوجها أن تهتم بالأمر ولو على سبيل تاخد منه العربية تركنها، ثلاث ساعات دون أن يهتم أحد بغياب عماد كانت نقطة تحول في حياته.

الخوف من الجاذبية الأرضية بما تمثله من تماس مع فكرة السقوط من أعلى، في إحدى المرات كانت الكهرباء تعود لثوانٍ ثم تنقطع، ثم تعود وهكذا خلال هذه المرات كان المصعد يهبط بعماد بقوة، ثم يرتج فيقف مكانه، ثم يهبط عدة مرات متتالية إلى أن ظل يتوقع انقطاع حبل المصعد واستقراره في القاع.

الخوف من الذكريات التي تهاجمك بدون مقدمات، كان الظلام يجبر عمادًا على تذكر سنوات زواجه من منال، وفي كل مرة كان يتفهم لماذا كانت أمه تقول عنه إنه أهبل ومتدهول على عينه.

فوبيا الظلام وتغلب عليها قليلًا بأن يضع في جيبه دائمًا ولاعة حديثة. فوبيا الحريق وهي التي أصابته بعد أن مسكت الولاعة في جلباب سعيد البواب.. ربما هذا ما يفسر سر شعور البواب سعيد بالإثارة سالفة الذكر.

السلم ليس سهلًا، فالعمارات القديمة مبنية (من وسع)، والأسقف العالية جعلت السلالم بالتبعية عالية، وتفكك سكان عمارة قديمة نصف شققها مهجورة ومغلقة على ذكريات وعفش لقديم لعائلات استقر أولادها خارج مصر جعل عملية شراء مولد كهربائي صعبة، عماد لا يتهم السيسي فقد سبق له أن اتهم مرسي دون أن يغير ذلك شيئًا إلا مرسي نفسه.

لكنه يلعن برامج التليفزيون بضيوفها والمحطات الكثيرة بهذيانها التي تسحب كل هذه الطاقة، يلعن عشرات الأكشاك التي افتتحت كلها خلسة في شارع واحد سارقة كهرباء عمومية، يلعن عشرات ملايين شواحن الموبايلات واللاب توب التي لا ينزعها أصحابها من الفيشة من لحظة استلام الجهاز، يلعن ملايين أجهزة الميكرويف التي جعلت البيوت تأكل طعامًا ممسوخًا يشبه الورق المقوّى في سبيل أن تشعر مدام منال وجيلها بالراحة.

يفكر لماذا لم تكنِ الكهرباء تنقطع أيام مبارك بالرغم من أن الدولة كانت تفرط في استخدامها بشراهة في معامل مباحث أمن الدولة، يفكر أن دعوة مرشح الرئاسة للاستيقاظ في الخامسة فجرًا لها هدف خفي وهو أن تنام الناس مبكرًا، من ثم يتم تخفيف

الأحمال الكهربائية، فكر أن عبد الناصر لم يطلب يومًا شيئًا من الشعب بل إنه كان يسعى لراحتهم (هناك سد عالٍ فاسهروا أو قوموا ناموا أنتوا يا أولاد.. براحتكم)، فكر أن يستغل الظلام، أن يتعشى مع مدام منال على أضواء الشموع مثلًا، ولكن مدام منال تبدو مخيفة بشكل غير طبيعي في ضوء الشموع خصوصًا عندما يتراقص ظل بومبيه شعرها على الحائط بشكل أكثر من حجمه، فكر في أن يتعلم القراءة بطريقة (برايل) ليستفيد من الوقت المهدر في المعرفة، فكر أن يطلب من ورثة صاحب العمارة أن يأخذوا شقة السابع ويعطوه شقة الدور الأرضي، ولكن مدام منال رفضت لأن الحاجة سهير الراقصة المعتزلة اتقتلت فيها، فكر أن البلد في مشكلة كبيرة غير مفهومة، كل بلد في العالم لديه كشك كهرباء، وكان عماد كله يقين أن فيه حد بيجيب ستات في كشك كهرباء الوطن.

يسكن الأستاذ عماد في العمارة المقابلة لي، واليوم عدت فوجدت زحامًا تحتها، كان أستاذ عماد يقف في الشباك ممسكًا بميكروفون الباعة الجائلين وهو يفقع موالًا شعبيًا، بينما السكينة على رقبة مدام منال (السجن لو كان جنينة والشجر سجان.. من لوعة الضلمة يبقى أضيق من الفنجان) .

الموال جعلنى أسأل نفسى هل سيساعدنى فنجان شاى على تجاوز الزنة ؟، يبدو السؤال بسيطا لكن الأمر غاية فى التعقيد، من الطبيعي عندما تكون في زيارة لشخص ويسألك عن مواصفات الشاي الذي سيُقدم لك أن تكون ملاحظاتك في حدود كمية السكر ودرجة الثقل التي تحبها، لكن كلما كان الأمر متاحًا بالنسبة لي طلبت من هذا الشخص أن أقوم لأعد الشاي بنفسي، وإذا كان الأمر صعبًا أسهب في وصف ما أريده عدد ملاعق الشاي وكمية السكر ودرجة التقليب وحجم الكوب (أفضل الخمسينة) والمساحة التي سيشغلها الشاي داخل الكوب بما لا يتجاوز الثلثين، لا أحب الكون مملوءًا عن آخره بما يجعل تفادي شرب أول شفطتين بالأداء الصوتي الشهير (شششوففففففت) صعبًا، ثم الاستفسار عن أية محسنات بديعية لدى صاحب البيت يمكن أن تضاف إلى الشاي كورق النعناع البلدي أو عود قرنفل مع التأكيد بالطبع على الرفض التام لفكرة (الشاي الفتلة) ولا تغافلني فتقرر إفراغ الفتلة وتقديمه كأنه (كشري) فهي حركة بلدي مفقوسة، وفي النهاية يتبقى سؤال بسيط إن كان الشاي الموجود في مطبخ الصديق من النوع الخرز أم الناعم.

شرب الشاي خارج البيت بالنسبة لشخص مثلي فضيحة بلا شك، ولكن الشاي بالنسبة لي ليس مشروبًا عابرًا لتسديد خانات، هو محطة في يومي ما لم يكن الاستمتاع بها كاملًا فلا يوجد أي داعٍ

له، كوب الشاي بالنسبة لي يصلح كل ما حوله لحظة شربه أو يفسده تمامًا، أو كما قال الشاعر الصافي النجفي:

منه اصطباحي وشجوني ولذتي

ومنه شفائي من عناء مُكدّر

يغيب شعور المرء في كئوس الخمر

ويصحو بكأس الشاي عقل المفكر

حقق نبات الشاي نجاحًا غير عادي مقارنة بمنافسيه في مزارع العالم، بدأ نباتًا غير مفهوم قيد التجربة والاختبار، ثم ارتقى درجة بعد أن صنفه الأوربيون كدواء يتم بيعه في أماكن بيع العقاقير، ثم أحبه رجل إنجليزي فأنشأ شركة اسمها (شركة الهند الشرقية) من أهم أهدافها نقل أكبر كميات شاي ممكنة من الهند إلى إنجلترا، كان الخواجة (توماس ليبتون) رجل أعمال ناجح في مجال آخر، تصادف أن هبط سعر الشاي فوجدها فرصة لدخول المجال، جرب أفكار كثيرة إلى أن أصبح أول من اخترع (باكو الشاي) بأن قام بتغليفه، ثم أصبح الشاي وتوماس ليبتون شريكين في رحلة نجاح عظيمة (زي وردة وبليغ حمدي)، وغزا العالم لدرجة أنه قبل أن

تقام أول كأس عالم رسمية عام ١٩٣٠ كانت أول تجربة كأس عالم عام ١٩١١(تقريبًا) تحت اسم كأس السير توماس ليبتون.

لم تطُل حياة ليبتون حتى يرى لمستنا كمصريين على النبات الذي غزا العالم من خلاله، فاته (شاي الصعايدة) حيث يمتزج الشاي مع السكر في إناء واحد يغلى لأطول فترة ممكنة فوق النار حتى يعطيك طعم طلقات الجرينوف، فاته تحول الشاي من مشروب إلى دلالة شعبية على الرشوة، فاته أن شاي شهير في الثمانينيات في مصر كان ناجحًا بدرجة كبيرة إلى أن تم إثبات احتوائه على برادة الحديد فتوقف إنتاجه فترة، وعندما عاد لم يكن طعمه مثل الأيام الخوالي فتخلى عنه الناس واعتبروا نزع برادة الحديد التي ضبطت مزاجهم غشًا تجاريًا، فاتته اللحظة التي نصب المصريون فيها الشاي وزيرًا لداخلية المعدة لقدرته على (الحبس) بعد الطعام، أصبح لكل طائفة (شايها) من البوابين بلزوجته إلى الصنايعية كحالة من الراحة المقترنة بالتأمل الذهني في الشغلانة إلى المدمنين كضرورة حتمية لتسييح البرشامتين، فاته استخدام الملعقة المعدنية كأداة عزف تعلن أن الشاي على بُعد خطوات، وفاته البيوت التي تعيد تجفيف (التفل) لتعيد استخدامه، والبيوت التي يعتبر شراء طقم الشاي بالنسبة لها خطوة جادة على طريق إتمام الزواج، لحق ليبتون

بمشهد احترام العالم للشاي، لكن فاته مشهد تقديس المصريين له لدرجة أن الحكومة أقرته كمادة تموينية أساسية تستحق الدعم لنصبح أول دولة في العالم تقنن وتدعم مزاج مواطنيها.

في منتصف الثمانينيات كان هناك بيوت كثيرة ومحلات تضع بوسترات ونتائج حائط لشيخ عجوز مبتسم يصب الشاي في كوب زجاجي صغير اسمه (الشيخ الشريب)، وكان اسم الشاي أيضًا، فسرت لي جدتي اقتران الشاي بـ (شيخ) بأن هذا النوع من الشاي كله (نفحات)، مر طعمه بوجدان الواحد في أيام الطفولة ثم اختفى من الأسواق وإلى الآن لم يحدث ما يشبهه، ثم تآلف القلب أيام المذاكرة مع شاي التموين (شمتو) ثم اختفى، بعدها ارتاح ضميري لشاي (البراد الأزرق) ثم اختفى أيضًا، قصص حب ما زالت ماثلة في الوجدان، وهي التي أنبتت الخيال نباتًا حسنًا، قصص لا يعوضها الارتباط بالخواجة (ليبتون) ولا حتى الزواج من (العروسة).

هدأت الزنة قليلا في رأسي.

متى حدث هذا؟

متى بدأت أصلا أستخدم الدواء الجديد حتى أستطيع أن أحدد الفترة التي استغرقها حتى يصل بي إلى مكان ما يبدو أفضل؟

لا أعرف، لست قادرًا على أن أتذكر متى بدأت مأساتي أصلًا، وهذه مأساة جديدة، لكن النسيان ذكرني بقصة ما، بالرغم من الإمكانيات الكبيرة لمكتبة ما فإن ندوة أخيرة أقيمت لي هناك كان تدار بواسطة (مايك) واحد فقط، وكان الحضور كلهم يتعاونون في توصيل المايك ما بين الجلوس على المنصة وبين ضيوف أصحاب أسئلة في آخر القاعة، ليس هذا مجالًا لتقطيم المكتبة لا سمح الله، ولكن الموضوع أكثر خطورة، كان المايك يستقر في يد الضيف فيوجه لي ثلاثة أسئلة دفعة واحدة، وعلى بال ما يقطع المايك طريقه عائدًا لي كنت أنسى الأسئلة فيذكرني بها الحضور، ما هذه الذاكرة الرديئة في هذه السن المبكرة؟ كيف أصبت بهذا الخلل الفاضح، بُحت بالسر لبعض الأصدقاء فاكتشفت أن المشكلة عامة وليست شخصية، ثم سرعان ما صادفت نماذج أكثر تدهورًا بين أصدقاء آخرين..

شهور طويلة وأنا الاحظ هذا الضعف أمام أحد برامج التوك شو، أعصر ذهني لأعرف اسم هذا الضيف الذي نادرًا ما يغيب عن الشاشة فأفشل، أشاهد فيلمًا ما ثم تأتي فقرة الإعلانات وبعد دقائق أتحدى نفسي لمعرفة ما هو الفيلم الذي كنت أتابعه قبل أن تبدأ الإعلانات فأفشل، مصافحة دافئة وعناق حار لصديق قديم في الشارع أدير الكلام معاه بـ (حبيبي) و(إيه يا عم) ثم أتذكر اسمه

بعد المقابلة بيوم بينما أنا جالس في الحمام، أهاتف زوجتي كل خمس دقائق وأنا في السوبر ماركت لتساعدني في تذكر طلبات البيت (ابقَ اكتبهم في ورقة..كتبت بس مش عارف الورقة فين)، أين أشيائي؟ سؤالي الذي يتكرر كل يوم في البيت بحثًا عن أشياء مختلفة (المحفظة، مفاتيح البيت، قلعت الخاتم فين؟ كتاب بدأت في قراءته، النضارة، شاحن الموبايل، أنا كان عندي جزمة سوده هاف بوت صح؟ أنت عمرك ما جبت هاف بوت.. فعلًا؟)، طول اليوم هناك شعور ما بوجود شيء كان لا بد أن أفعله، هناك مهمة ما، أتذكرها حيث مر الوقت بما يكفي لضياع فرصة القيام بها، أعرف أن بيل جيتس هو مؤسس مايكروسوفت..فيه بقى الراجل التاني بتاع آبل اسمه إيه أنا عارفه كويس (جيمس كاميرون. لأ جيمس لاست)، طيب افتح جوجل واكتب «مؤسس آبل» يظهر أمامك اسم (ستيف جوبز) يشعر الواحد ساعتها بأورجازم ذهني غير عادي.. ستيف جوبز هااااح، سعيد صالح كان اسمه أيه في فيلم «سلام يا صاحبى»؟ الواد اللي كان هاف ديفندر بتاع الزمالك ده اللي شعره منكوش، ابن طنط سلوى جارتنا في المعادي الطويل ده (قصدك طنط منى؟..أيوه هي دي)، سعيد صالح كان اسمه (بركوته)، وطنط منى ما عندهاش ولاد، طيب أنا عملت التشهد الأولاني ولا دخلت في الركعة التالتة

على طول؟ لا أتذكر إن كنت قد أخذت حباية الضغط أم لا، إذا أخذت واحدة (هأهبط)، وإذا اعتبرت نفسي أخذتها وهو ما لم يحدث (هأصدع)، ما بين اختيار (اهبط) ولا (أصدع) يدخل الواحد في أجواء التوتر وابتدي (أرجع)، اتصل بفلان المريض أسأل عليه.. حاضر، فلان اتوفى.. هو كان عيان ولا أيه؟ لاعيب الزمالك اسمه عمرو الصفتي ي ي ي ي ي أيوووه الصفتي ي ي، أورجازم جديد يتبعه ضحكة بشرى في فيلم (وش إجرام).

هكذا تسير العملية خلال الفترة الماضية، لم أدخل بعد في سن الزهايمر، بل المفاجأة أن الواحد قادر على تذكر تفاصيل تخص أشخاص هم أنفسهم نسوها، ويسترجع أمام عائلته مشاهد من الطفولة يندهشون من أنني ما زلت أذكرها، كما أنني لا أنسى إهانة أو غلاسة أو سوء ظن مر بالواحد خلال عمره كله، فما سر كل هذا التهنيج؟

الموبايل سبب، كان الواحد فيما مضى يدرب الذاكرة بحفظ أرقام التليفونات المهمة في حياته، استبدل الواحد ذاكرته بذاكرة الموبايل، من المستحيل أن تنجح بالاتصال بأحد إذا ما انتهى الشحن أو انحرقت بوردة الجهاز، السنوات الثلاثة الماضية سبب بكل ما فيها من توتر وقلق وحماس يعقبه إحباط وأمل سرعان ما يبدو

سرابًا، ثورتان وانتخابات وقتلى ومصابون ومعتقلون وأصدقاء رحلوا، وآخرون خذلوك، ورموز انهارت، وأنصاف رموز قامت بإخوان بسلفيين باشتراكيين ثوريين بعسكر، كل هذا صعب أن يستوعبه المخ البشري في ثلاث سنوات.

بخلاف كميات الغاز التي استنشقناها جميعًا والتي لا بد أنها أتلفت بعض فصوص المخ أو صلبت شرايينه أو سيحت تلافيفه، بخلاف نوبات الهلع التي نتعرض لها يوميًا عبر الإعلام، فهناك دائمًا من يبث فيك الخوف (هنفلس، ما فيش بنزين، مؤامرة، تفجيرات، مواجهات على الهواء، بأقولك أيام سودة) الخوف يطرد من الذاكرة ملفات كثيرة ليأخذ هو مكانها، طبيعي أن يحذف المخ أمورًا أقل أهمية مقارنة بخوفك على أولادك أو مستقبلك.

منذ عامين كنت أجلس إلى جوار عم أحمد فؤاد نجم، أريد أن ألقي عليه قصيدة جديدة كتبتها، لكنه كان منهمكًا في حل الكلمات المتقاطعة في جريدة الجمهورية، ظللت أنتظره حتى مللت فقلت له: «أيه اللي أنت مضيع وقتك فيه ده يا عم أحمد؟». فقال لي: عندما تصل إلى سني ستعرف قيمة الكلمات المتقاطعة، فهي أفضل تدريب ينشط خلايا الذاكرة، وصلت إلى سن عم أحمد إكلينيكيًا وبت الآن

أفتش عن الكلمات المتقاطعة لأعالج النسيان، ربنا يديك الصحة يا عم أحمد ويطول لنا في عمرك.

قلت لنفسي: ولكن عم أحمد مات يا عمر.

سمعت صوتًا قادمًا من لمبة الأباجورة يسألني: هل تؤمن بنظرية أن روح الشخص بعد موته تدخل في جسد آخر في حياة جديدة؟

قلت للصوت: دعني أحكي لك قصة ربما تجد بها إجابة.

على طريق الزعفرانة مطعم يطل على شاطئ البحر الأحمر ويقدم الأسماك محاطًا بعشرات النقاط التي أقامها الصيادون لبيع بضاعتهم التي ما زالت تتحرك في صناديق خشبية مليئة بالثلج. في طريق الذهاب أو العودة سيجبرك المشهد على التوقف لاستطعام هذه الخيرات التي اختلطت رائحتها برائحة البحر وهواء الجبل، لا مجال للهروب من هذه الشهوة المطبقة على صدرك، يقين تام بأن ما ستأكله هنا في هذا المكان وفي هذه اللحظة، وهذا الطقس سيتفوق روحًا ومضمونًا على أفخر مطاعم أسماك العاصمة.

هذه ليست مقدمة في حب الأسماك، ولكن عن المطعم، فعند

الدخول أدهشني مشهد بجعة كبيرة من ذوات الكيس الضخم أسفل فمها، هذا الكيس الذي تخزن فيه البجعة السمك قبل ابتلاعه. طائر من النادر أن تراه في مصر مستقرًا في مكانٍ مفتوح على الطريق، كان الطائر يبدو منهكًا ومنكسرًا وقد تبدّل لونُه الأبيض إلى لون الشاي باللبن، قادني الفضول إلى السؤال عن وجود هذا الطائر في هذا المكان خصوصًا بعدما رأيت المعاملة التي يتعرض إليها.

أصحاب المطعم اعتبروا الطائر وسيلة لتسلية الزبائن، ولفت أنظارهم خصوصًا أن الطائر معظم الوقت يرقد أمام باب المطعم مستكينًا. هناك من الزبائن مَن لا يفوتون فرصة الاستمتاع بهذا الطائر الأسير، فهذا الطفل النحيف الغلس الذي طلب صورة مع الطائر أصر على أن يفتح الطائر فمه في الصورة، إصراره نسخة من (هات لي الحصان يا أبويا)، صاحب المطعم إفراطًا في كرم الضيافة أمسك الطائر من رقبته الطويلة، وظل يضربه بالكف على الكيس المتدلي من عنقه حتى يفتح فمه، حاول الطائر أن يتخلص من قبضته فلاحظت أنه (يعرج)، وأن ثمة إصابة جسيمة في ساقه، لكن والد الطفل والطفل ساعدا صاحب المطعم في التكتيف والتلطيش إلى أن رضخ الطائر وفتح فمه، لا لكي يلتقط صورة لكن ليصرخ، لكن الصرخة لن تظهر في الصورة فليس مهمًا، وعندما انفجر

الفلاش في وجهه أُصيب بانهيار تام ورقد مكانه.. المشكلة أن الطفل عندما رأى الصورة لم تعجبه، وطلب واحدة جديدة، فتكرر السيناريو السابق بحذافيره.

سألت الجرسون فقال: إن الطائر واحد من سرب طيور مهاجرة تعبر البحر الأحمر مع بداية الشتاء، ويبدو أنه كان مريضًا فلم يستطع استكمال المشوار فأخذناه نربيه ونكسب فيه ثوابًا، قلت له: ربنا يكرمكم، فقال بفخر: هنعمل إيه بس؟ قلت له: ما تعملوش حاجة ربنا هيشوف شغله.

الصبي الذي يقف في الحمام قال لي: إن أحد الصيادين اصطاد هذا الطائر في أثناء مرور السرب، واحتفظ به وكان يربطه بحبل أمام فرشة السمك، أعجبت الفكرة صاحب المطعم فاشتراه منه، عند الخروج من الحمام رأيت بعض العمال يحيطون بالطائر ويصرخون في وجهه كالمجانين ليفزعوه فيرد بصرخات مماثلة والطفل النحيف ميت من الضحك، حاولت أن ألفت نظر صاحب المطعم إلى المأساة في أثناء الحساب فقال: «إحنا جايبينه يسلّي الأطفال». في تلك اللحظة كان المطعم كله يجري ناحية الطفل النحيف الذي يبدو أنه ابتلع شوكة فأصابته (شرقة) أثارت هلع الجميع.

خرجت فوجدت الطائر ينام أمام المطعم منكسرًا وقد استحالت رائحة المكان جحيمًا بفعل مثانته التي انفجرت، توقعت أنه يومًا ما سيجري على الطريق وسيلقي بنفسه أسفل عجلات سيارة نقل ثقيل لينهي هذه المأساة.

لو كنت أؤمن بنظرية أن روح الشخص بعد موته تدخل في جسد آخر في حياة جديدة، لقلت: إن هذا الطائر كان قبل ذلك تاجر مخدرات أدخل الحزن والخراب والموت على قلوب مئات العائلات فاستحق هذا المصير المهين، أما لو كان رجلًا صالحًا- استكمالًا للمعتقد السابق- لكان الآن عصفورًا نحيلًا يقف على شباك مطبخ في بيت ريفي يستمتع بتأمل العروس الجديدة وهي تطبخ في انتظار زوجها وتغني مع صوت نجاة القادم من الراديو «دوار حبيبي طراوة آخر طراوة»، بينما تلقى له كل قليل على طرف الشباك بعض حبات الأرز الذي نضج.

سألني الصوت القادم من الأباجورة عن الدرس المستفاد من هذه القصة، قلت: لا توجد دروس هي مجرد حكاية، لكن إن كنت مُصرًا فإليك واحد (حاول أن لا تقع أسيرًا في يد بائع سمك).

عادة يقع الواحد في قبضة بائع أسماك عندما يكون في بحبوحة،

وموضوع حيازة الأموال يحتاج إلى وقفة، تقول نظرية سيدنا علي: «إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما استمتع به غني»، أعاد مفكرو أوربا والدول المتقدمة تعريف مسألة الفقر والثراء.. لم يعد التعريف قاصرًا على كم الأموال التي تمتلكها ولكن اتخذ أبعادًا جديدة.. تقول نظريتهم الشهيرة: «إن الفقير فعلًا هو الشخص الذي تؤثر فيه سياسات الحكومات وقراراتها.. أما الثري فهو الشخص الذي يؤثر في سياسات الحكومة».

قال فيلسوف ما: إن الثري هو الشخص الذي يمتلك ثروة لا يعرف حدودها، بما يعني أنه من علامات الفقر إنك تعرف معاك كام بالضبط، الكبار لا يستثمرون في مشروعات تحتاج إلى مجهود شاق، المجهود الحقيقي يبذلونه ذهنيًا لاختيار مشروعات تحقق ثروات طائلة بضربة واحدة.. تسقيع الأراضي مثلًا، انتهت موضة تكوين الثروات من الاقتراض من البنوك والمضاربة في البورصة، تعلمت البنوك الدرس وتعمل منذ زمن بعيد حسب النظرية الاقتصادية الأمريكية التي تقول: «البنوك تقرضك فقط المبلغ القادر على إثبات امتلاكك له»، أما البورصة فلو عايز تخرج منها بثروة صغيرة فلا بد أن تدخلها بثروة كبيرة، عمومًا الفلوس بوشين.. علشان كده شطارة ، لكن هل سألت نفسك كيف يقدر الفقراء على مواصلة العيش

في هذه الظروف القاسية؟ ، يقول مارك توين: «الفقر يشبه فقدان العذرية.. هو أمر لا يؤلم سوى لمرة واحدة فقط».

هل تريد قاعدة تضمن لك السعادة في أضيق الإمكانيات؟ يقول حكيم صيني: «ضيع فلوسك النهارده؛ لأنك مش ضامن بكره، بدلًا من أنك تضيع النهارده لأن مش ضامن فلوس بكرة (قام بأعمال الترجمة: أمير البراري)، اللحظات الجوهرية في الحياة تتجاوز مسألة الفقر والثراء، يقول فؤاد حداد: «لو يسألوك تقول.. أجمل ما في الدنيا الميه للعطشان.. يعرفوك مصري»، وهناك حكاية عن رجل أعمال أمريكي زار قرية ساحلية ودخل أحد المطاعم، وطلب نوعًا من السمك لم يسمع به من قبل فأعجبه.. طلب المزيد فقالوا له: الصياد لا يحضر لنا سوى كمية قليلة كل يوم، بحث الرجل عن الصياد حتى وصل إلى المكان السري الذي يصطاد فيه.. راقبه فوجده اصطاد خمس سمكات من النوع الذي أعجبه، ثم هم بالانصراف، توجه رجل الأعمال إلى الصياد قائلًا: «لماذا أنت مقل في ساعات عملك ومعدل إنتاجك؟». فقال له الصياد: «أصحو كما يحلو لي، أفطر، ثم أتجه إلى الصيد أقضي ساعتين، ثم أبيع ما اصطدته لألحق بأطفالي على الغذاء ونظل نلعب سويًا حتى موعد نومهم وفي السهرة أخرج لأسهر مع أصدقائي نمرح ونعزف الموسيقى ونلهو حتى ساعة متأخرة». فقال له رجل الأعمال: «إذا

ضاعفت ساعات عملك ستحقق ثروة أكبر.. يمكنك معها أن تستأجر شبابًا يعملون عندك.. بعدها ستبيع للمطاعم كلها.. ستحتكر هذا النوع من السمك وبعدها يمكنك أن تصدر الفائض للمدن الكبيرة.. وبعد قليل ربما تمتلك مكتبًا فيها.. سيتحول المكتب إلى شركة.. وستصدر بعدها إلى جميع أنحاء العالم وتصبح واحدًا من أثرياء الكوكب». قال له الصياد: «وما الذي سأستفيده بعد ذلك؟». فقال له الرجل: «ستصبح ثريًا لدرجة تمكنك من الاستمتاع بحياتك.. ستصبح قادرًا على أن تمتلك بيتًا في قرية مثل هذه، تقضي فيه الإجازة، تسبح وتمارس هواية الصيد، وتستمتع باللهو مع أطفالك، وتقضي ليالي الصيف على شاطئ القرية مع أصدقائك تعزف الموسيقى وتمرح حتى ساعة متأخرة».

هذا بائع سمك تاني غير الأولاني تمامًا.

هل من الممكن أن يصيرا صديقين يومًا ما؟

أعتقد أنه أمر صعب..

فالصديق هو الشخص الذي تترك له الريموت كنترول وأنت متأكد تمامًا أنه لن تفوتك مشاهدة كل ما تحبه، سيتوقف بالضبط عند ما يرضيك، وسيقوم بتعلية الصوت متى احتجت لذلك دون

أن تصرح، وسيضحك عند اللقطة التي لن يضحك أحد في العالم عليها سواكما، بالمناسبة يمكن اعتبار الريموت كنترول مرآة جديدة غير التي مررت بها قبل عدة صفحات، فالريموت كنترول اختبار صداقة حقيقي يكشف لك الكثير، أقترح عليك أن تتفاداه إذا كنت أنت وصديقك شاربين سيجارتين لأنكما ستكونا أكثر كسلًا من تغيير المحطة الشغالة أيًا كانت.

إذا حدث شرخ في مرآة الريموت وهو وارد أقترح عليك وقتها أن تترك الريموت في يد صديقك عند المسرحية الساذجة، وفكر في تغيير طريقة التفكير، تبحث عن الريجيم وتفشل، طيب لماذا لا تفكر في حركة بسيطة بدلًا من أن تغسل أسنانك بعد الأكل أن تغسلها قبل الأكل ساعتها سيصبح مذاق الطعام في فمك حاجة تسد النفس مجرد لقيمات بطعم النعناع الكيمائي النفاذ، تريد أن تقلع عن التدخين؟ إليك هذه الوصفة الأمريكانى : جرّب المشي لمدة ساعة وفور أن تتوقف أشعل سيجارة جديدة (خطة جربتها كثيرًا إلى أن أقلعت عن المشي.. بس احتمال تنجح معاك أنت)، اصنع قائمة من الأشياء الغريبة، فكر مثلا في الجمل التي لا تود سماعها في أماكن بعينها، مثلًا لن تحب أن تسمع على السرير في ليلة الدخلة جملة (كل الزيطة دي على ده بس؟) أو أن تسمع على السرير في غرفة العمليات جملة

(يا خسارة الجهاز باظ)، فكر في أن تقلع عن عاداتك السيئة عند التعرف بناس جديدة، يعرفك أحدهم بشخص ما وعن طبيعة عمله فتفكر في الاستفادة منه على السريع، د. أحمد أستاذ جراحة (والله يا دكتور كان عندي ابن خالتي بيعمل بي بي لفوق ورحنا بيه لكذا دكتور)، أ. مجدي محاسب في بنك النهضة (وإيه أخبار القروض عندكم في البنك؟). أ. سامح صحفي (هو صحيح موضوع إنهم هيعملوا النسكافيه بكوبونات؟).

لاتقاطع صديقك إذا طال توقفه عند المسرحية الساذجة، وحاول أن تتفادى دعوته لك بالاندماج بأن تستخدم الموبايل، أهم ما في اختراع الموبايل ليس أن (تتكلم فيه)، بل اللحظات التي يساعدك فيها على أن (تعمل نفسك بتتكلم فيه)، وهي خدمة لم تكن لتنقذك من سواق تاكسي رغاي من خمسة عشر عامًا إلا لو كنت بتنزل بتليفون البيت.

الصداقة كلمة جميلة إذا تحدثنا عن أصدقاء الآخرين، بالضبط مثل الكتابة، فالكتابة سهلة جدًا بشرط ألا تكون مهنتك.

الآن عادت الزنة أقوى بعد أن تذكرت أن الكتابة مهنتي، هل سأصير يومًا (الكاتب الكبير)؟ ، أعتقد أن زمن (الكاتب الكبير) قد

انتهى بظهور تقنية مرافقة لمقال الكاتب اسمها (أضف تعليقًا)، تلك التقنية التي بدأت بمحبة وآمال عريضة وانتهت بأن تظهر دائمًا مرفقة ب جملة (التعليقات الواردة مسئولية أصحابها ولا تعبر عن موقع الجريدة).

(الكاتب الكبير) مرادفة في زمن كان الكاتب فيه أقرب لـ (الأم) التي تقدم بعناية وإخلاص المتاح من الطعام لأبنائها فيتم استقباله بتقدير تام حتى وإن كان (ملحه زيادة) في بعض الأحيان، أما الآن فالكاتب أقرب إلى صاحب عربية كبدة يقف الزبون إلى جواره كتفًا بكتف يراقبه ويعدل عليه ويغادره هو يصب عليه تشكيلة مختلفة من اللعنات.

كان مصطفى أمين سيراجع نفسه قبل أن يكتب سنة ١٩٤٢: «متأكدون أن زعيم المعارضة في مجلس النواب سيكون واحدًا من اثنين، عبد الرحمن عزام باشا، أو الأستاذ حسن البنا رئيس جمعية الإخوان المسلمين، وهو شخصية سياسية جديدة، ويقدر المراقبون أنه سيكتسح مدينة الإسماعيلية، فأهالي المدينة يعتقدون أن ترشيحه مسألة كرامة لهم، وهو خطيب مُفوّه يتزعم دعوة دينية إصلاحية، ونتنبأ له بأنه سيشق طريقه بسرعة إلى الصفوف الأولى»، في زمن

آخر كان أمين يقرأ الآن تعليق قارئ يتفنن في وصف أمين بأنه (خلايا نائمة) و(يا مصطفى بك..لقد سقطت من نظري).

أما أحمد بهاء الدين الذي كتب في أعقاب هزيمة يونيو: «إن الصراع بين العرب وإسرائيل هو في الأساس صراع حضاري وليس صراعًا عسكريًا»، فقد كان سيحسب حسابًا للمواطن المتحمس الذي سيقرأ رؤية بهاء الدين باعتبارها تقليلًا من القوة العسكرية لمصر ويصحب تلك القراءة بتعليق (بيادة أصغر عسكري في الجيش برقبتك يا شيوعي)، ولكن غياب مثل هذا النوع من القراءات المختلة شجع بهاء الدين على أن يكون أكثر جرأة ويطلب بعد النكسة معالجة الأمر بفتح الباب أمام الحريات وتوفير ضمانات كفيلة بعدم التراجع عنها، واعتبار المظاهرات التي خرجت بعد النكسة تعبيرًا مشروعًا عن إرادة شعبية لإزالة الفساد وضرورة التغيير بدلًا من أن يعتبرها النظام تعبيرًا عن القلة المنحرفة، غياب تقنية (أضف تعليقًا) وقتها حرم بهاء الدين من تعليقاتٍ (منكوا لله خربتوا البلد، كفاية بقى يا خمورجي يا شاذ، هذا زمن الرويبضة).

توفيق الحكيم كان سيواجه تعليقات من نوع آخر بعدما كتب في ١٩٧٣ عندما راجع موقفه وقال إنه نادم على سيره خلف الثورة بدون وعي شارحا الفكرة بقوله :

العجيب أن شخصًا مثلي محسوب على البلد هو من أهل الفكر . أدركته الثورة وهو في كهولته يمكن أن ينساق أيضًا خلف حماس العاطفي، ولا يخطر لي أن أفكر في حقيقة هذه الصورة تي كانت تصنع لنا، كانت الثقة -فيما يبدو- قد شلت التفكير سحرونا ريق آمال كنا نتطلع إليها من زمن بعيد، وأسكرونا بخمرة مكاسب أمجاد، فسكرنا حتى غاب عنا الوعي. كانت النخبة ستستلمه بر مساحة التعليقات كضحية تستحق (يا خسارة كنت بأحترمك، رموز بتنهار، خاف على آخرتك يا منافق، ليه مصر تموت وأنت ن (و..)، اتكشفت يا أبو كاب).

نجى يوسف إدريس من تكفير القراء بعدما كتب عن أحد الدعاة: (يتمتع بكل خصال راسبوتين المسلم.. قدرة على إقناع الجماهير البسيطة.. وقدرة على التمثيل بالذراعين وتعبيرات الوجه، بالغرم ن أنه يملك قدرات أي ممثل نصف موهوب)، لكنه للطرافة لم ينجُ من تعليق وزير الثقافة وقتها (عبد الحميد رضوان) على مقال لإدريس انتقد فيه عجز الدولة الثقافي، فرد الوزير في مقال نشرته الأهرام قال فيه نصًّا: إدريس هذا المخدور (بيضرب مخدرات يعني)، هذا الإدريس هذا المجوف الفكري – الغرور القاتل ينهش في سعار مجنون نفسه المريضة، قلمه المسعور حاشا لله أن يكون

هذا الإدريس من أبنائك يا كنانة الله، المفكر البللوري.. وختم مقاله بقوله: «اللي اختشوا ماتوا»، بالمناسبة حكمت المحكمة للدكتور إدريس بتعويض ٢٠ ألف جنيه ونشر اعتذار رسمي وقد كان.

فات كبار الكتاب متعة ما، ولا أحد يعرف بالضبط كيف كانوا سيتلقون هذه التعليقات، وكيف كانت ستؤثر في كتابتهم أو لغتهم أو جرأتهم في طرح الأفكار، شخص واحد بالرغم من سيرته الشخصية التي تصفه بالعصبية والخلق الضيق فإنه قال في النقد كلامًا مهمًا، كان بيرم التونسي يؤمن بأن (النقد امتداد للنبوة، ولولا النقاد لهلك الناس ولطغى الباطل على الحق، ولامتطى الأراذل ظهور الأفاضل، وبقدر ما يخفت صوت الناقد يرتفع صوت الدجال). كان هذا رأي الشاعر الكبير، لكن الرهان على عقلية الناقد، فمن المؤكد مثلًا أن الزعيم مصطفى كامل قبل أن يتشمل ويهاجم الاحتلال والقصر في مقاله بجريدة (اللواء) ربما كان سيتراجع إذا عمل حساب القارئ الذي ينعم بالاستقرار في ظل الاحتلال والذي سيعلق على مقاله قائلًا: (اخرس يا كلب طلعت حرب) .

عموما القارئ كائن محير، وإليك تجربة بسيطة.. كيف تصبح (خالد حمدي) في ٨ خطوات؟

١. اتصل بحبيبتك القديمة بعد الواحدة صباحًا وأخبرها أن الفضول سيقتلك وأنك تود أن تعرف حقيقة هل حبيبها الجديد ب(شنب) أم عادى ؟

٢. حاول أن تسلق عشر حبات بالضبط من المكرونة القواقع واعجنها واصنع منها عجينة، وحاول أن تصنع بها سلويت لوجه على عزت بيجوفيتش .

٣. اجلس أمام التليفزيون وكلما قال الشيف شربينى وصفة ما اصرخ في وجهه بصوت عالٍ: «أنت كداب يا شربينى أنت كداب».

٤. اشترِ بخمسة جنيه طعمية وعند خروجك من المحل قم بإلقائها في الطاسة أثناء تحمير البطاطس وقل للبائع: (ما دمت قد خربت حياتك في هذا الركن من العالم فحياتك خراب أينما حللت).

٥. اكتب خطابًا للبقال الموجود أسفل منزلك به جملة واحدة (ستموت أسرع مما تظن).

٦. اشترِ تي شيرت واكتب عليها نظرية نجيب محفوظ (ثناء

الضعيف لا قيمة له) وقدمها هدية لأضعف شخص في حياتك.

٧. اتصل بالأستاذ فهمي هويدي واعرض عليه بصراحة شديدة رأيك في شريط عمرو دياب الأخير.

٨. والآن عزيزي القارئ قل لي ما الذي يجعلك تمتلك كل هذا الفضول لقراءة كلام يرشدك للطريقة التي ستصبح بها خالد حمدي؟ لماذا تريد أن تصبح خالد حمدي؟

ربما تريد أن تتأكد من قدرتك على القيام بأمر ما، حتى لو تكن تنوي أن تقوم به يومًا ما، أنت فقط تريد أن تطمئن على نفسك.

أنت تفتش عن المرآة في كل شيء حولك.

تفتش عن مرآة ترى فيها نفسك، كل شخص مشغول بمعرفة الإجابة عن سؤال (كيف أبدو؟).

طيب بهذه المناسبة تعالَ أضع أمامك مرآة جديدة، التسجيلات المسربة التي انتشر أمرها في الفترة الأخيرة، ستعثر في التسجيلات المسربة دائمًا على نفسك، التسجيلات مرآتك الصادقة، قد تعتقد أنها كاشفة لطرفي الحوار، لكنها في الحقيقة كاشفة لشخصيتك، قبولك الاستماع إليها أصلًا هو اختبار أول، قبولك لأن تكون شريكًا في

التنصت بهذه البساطة تقول: إنك قد لا تمانع من سرقة نظرة باتجاه زوجة جارك وهي تقف بقميص النوم في المطبخ، لا تمانع من أن (توطي) صوت التليفزيون حتى تفهم سر ثورة جارك على ابنه، لا تدافع أو تبرر، فهذه مصيبة أكبر، حرصك على التماس مخرج لهذا الحرج على أساس أن التسجيل متاح للجميع ولم يعد سرًّا عبارة عن عورة جديدة في شخصيتك؛ إذ إن الصح والخطأ عندك قطعة من المطاط، لذلك من الأفضل أن تعترف أن المشاركة في التنصت خطأ، وكلنا بنغلط بمن فيهم كاتب هذه السطور الذي شارك في المأساة واستمع لبعض التسجيلات، لكن بما أن موضوع التسجيلات أصبح بمرور الوقت (حاجة عادية) في هذا البلد التعيس، تعالَ كل واحد يضرب اللي جنبه قلمين حتى يفيق وحتى نذكر أنفسنا أن الأمر (مش عادي) وأنه خطأ من جملة أخطائنا.

طيب.. بما أن الخطأ قد حصل واعترفنا به، فتعالَ ننتقل إلى اختبار من اختبارات كشف الشخصية، هل فهمت ما سمعته بعقل موضوعي أم أنك سمعته بنفسية الزياط الباحث عن فضيحة ولو حتى فضيحة بالشبه؟ هل ترجمت ما سمعته ترجمة سليمة أم أنك ترجمته بناء على قواعد مشوهة سابقة التجهيز؟، هل لاحظت مثلا أن أقصى بذاءة وطولة لسان ممكنة عند البرادعي هي استخدام كلمة (زبالين) وهي

شتيمة انتهت من السبعينيات، وأن ما قاله في التسجيل هو نفسه ما قاله أمام الجميع بخلاف أنها وجهة نظر ثبتت صحتها أصلًا فيما بعد؟ أم أنك لاحظت أن البرادعي كالعادة خائن ومتواطئ ولا يتحمل مسئولية ولا يحب مصر؟ موقفك من البرادعي سيحدد إجابتك وإجابتك ليست اكتشافًا للبرادعي بالمناسبة، إجابتك هي اكتشاف لك أنت، هل فكرت أن تسجيلات السيسي تكشف عن سذاجة سياسية وأنها تطفئ حضوره في الشارع؟ أم أن تصريحاته عن الأحلام ولا ساعة الأوميجا تجعله يتكلم كأهل الشارع، وأن ما قاله زاد من شعبيته؟ فهمك للشارع هو الذي سيحدد إجابتك عن السؤال.

هل أنت ساذج بما يكفي لأن يجعلك عنوان (فضيحة تسجيلات فلان) تصدق أن الفضيحة حكم نهائي قبل أن تستمع أصلًا؟ أم أنك مصاب ببارنوايا المؤامرة فتجتهد في إثبات أن (ده مش صوته)؟ هل أنت متربص بما يكفي لأن يجعلك تسخر كل قدراتك العقلية لاستخراج الفضيحة ولو حتى ب (ليّ ذراع الحقيقة) أم أنك متسامح بما يكفي لأن تسخر فص المخ الأمامي للربط بين ما تسمعه والظروف التي قيل فيها وتاريخ الشخصية ومستجدات الأحداث؟ هل تمتلك ثقة كافية بالنفس بحيث تتفهم السياق العام لما يقال وما يعنيه حقيقية، أم أن ثقتك في نفسك مهزوزة بحيث تبادر فورًا

بإصدار حكم الإعدام على طرف التسجيل لتبرأ نفسك أنت مش حد تاني؟ الاستماع إلى التسجيلات هي لحظة كاشفة وبقوة لجنس البني آدم الكامن بداخلك.

لاحظ أنني أتحدث عن المستمع.

لأن من يسجل ومن يذيع من جنس آخر تمامًا.

لدي قصة عن واحد كان يقوم بتسجيل المكالمات.

الضابط الصغير الذي حمل إلى السادات عام ٧١، أشرطة تسجيل تكشف المؤامرة التي تحاك ضده.

الضابط الصغير الذى لولاه - كأداة لتنفيذ الإرادة الإلهية- لانتهى السادات مبكرًا، ولتغير مستقبل مصر شكلًا ومضمونًا. كانت شخصية هذا الضابط الشاب تشغلني كثيرًا، وعندما حانت فرصة ما لمقابلته منذ عدة سنوات تمسكت بها لإجراء حوار صحفي معه. في البداية لم يكن متحمسًا للفكرة، بعد إلحاح مني وشروط قلقة منه، على رأسها أن تكون له حرية اختيار الأسئلة التي يجيب عنها، سمح لي هذا الضابط الشاب -أصبح فيما بعد اللواء طه زكي- أن أزوره في منزله في الدقي، كان في كامل أناقته في بيت بسيط ولم تفارق المسبحة يده طوال جلستنا.

كضابط جديد في المباحث العامة -أمن الدولة لاحقًا- تسلم عمله مع آخرين لمراقبة تليفونات الشخصيات المعارضة، يتم تفريغ المكالمات في تقرير، وتُسلم من مسئول لآخر، حتى تستقر عند سامي شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية وقتها، ثم اتسعت القائمة التي تخضع للمراقبة، قال لي إنه أصيب بالمرض، وانتشرت الحساسية في كل جسمه بسبب اضطراره إلى مراقبة مكالمات شخصيات عامة وفنانات، بما تتضمنه من أسرار عائلية وأمور لا يصح التنصت عليها أبدًا، وأنه طلب من رئيس جهاز المباحث العامة أن يعفيه من هذه المهمة، ولكن رئيس الجهاز قال له: «مستحيل.. أنت الآن لديك أسرار كثيرة وخطيرة لن تخرج بها من هذه الغرفة أبدًا وستظل هنا».

بعد أن تولى السادات السلطة كان واضحًا أن الجميع يتآمر عليه، وكان شعار المؤامرة «٣ أو ٤ شهور ونشيله ونجيب اللي يستحق». كان السادات وحيدًا تمامًا، فكل من حوله مشارك في الأمر «نائب رئيس الجمهورية، ووزير الداخلية، ورئيس مجلس الأمة، ورئيس المخابرات، ووزير شئون الرئاسة»، وكانوا على درجة من الثقة أنهم لم يأبهوا لموضوع مراقبة المكالمات؛ لأن الأمور كلها في النهاية تصب عندهم. كان نائب رئيس الجمهورية يتابع إن كان

الجيش وقائده جاهزين للتنفيذ في مقابل استعدادات وزير الداخلية لاعتقال السادات، إذا ما قاوم، أما وزير الإسكان فقد أعد خطة بديلة إذا ما فشل كل ما سبق، إذ قال في أحد التسجيلات «هاخد السادات القلعة واضربه طلقتين وبعدين نقول إنه انتحر».

قلت لرئيسي المباشر: إنه يجب علينا أن نبلغ رئيس الجمهورية، فقال: «نحن مجرد موظفين، ولولا معرفتي الشخصية بك كنت سلمتك بنفسي». ندمت على مجاهرتي بالأمر، وعندما زادت حدة المؤامرة قررت أن أنقل ما يحدث بنفسي للسادات، وكانت تلك مشكلة أخرى.

جربت كل الطرق لكنها كانت جميعًا مسدودة أو ستقودني في النهاية إلى أحد المشاركين في المؤامرة، إلى أن صادفت ضابطًا هو زوج إحدى شقيقات السادات، فاستطاع أن يحدد لي موعدًا. في كل خطوة كان كل شخص يسألني عن سبب طلب الزيارة، وكنت أرفض الإعلان، إلى أن وقفت أمام سكرتير السادات الشخصي، تكرر الطلب فتكرر الرفض، فقال لي: «الريس نايم»، فحملته المسئولية: «الأمر يهم الريس ومصر كلها»، فطلب مني رقم تليفوني على أن يهاتفني بأسماء مستعارة، لأن تليفون السكرتير نفسه تحت المراقبة.

بعد أيام اتصل والتقيت به عند كلية العلوم، وأخذني في سيارته الخاصة، ولم يكن معي أي شرائط؛ لأنها بعد التفريغ يتسلمها مدير المكتب ويحفظها في «شانون» بأرقام سرية لا يعرفها غيره، دخلت على السادات فقال «إيه الموضوع؟»، حكيت له فقال: «لا أحب أن أظلم أحدًا، ولو هأسمع الوشايات يبقى هأحط الناس كلها في السجن.. هات الدليل على كلامك ونشوف».

خرجت من عند السادات وأنا في غاية الاضطراب والتوتر، وفشلت في تقييم مدى صحة ما قمت به، وما المصير بعد أن أصبح فشلي في تقديم الأدلة أكيدًا؟

نمت وذهبت إلى العمل في اليوم التالي، فوجدت مدير المكتب يدخل عليّ قائلًا إن خالته توفيت، وأنه سيأخذ إجازة لثلاثة أيام، لكنه لا بد أن ينصرف الآن لـ«يلحق الدفنة»، وطلب مني أن أغطي غيابه بأن أعطاني الرقم السري لإخراج الشرائط في حال طلبها رئيس الإدارة أو الوزير في أي وقت، وهو أمر يحدث كثيرًا، ووضع كل شيء أمامي، وقال لي إنه سيغير الرقم السري عند عودته، ثم انصرف وتركني مذهولًا من تدخل القدر.

أخرجت الشرائط التي تحمل تفاصيل المؤامرة، وهاتفت

سكرتير الرئيس، فقابلني واتجهنا إلى السادات، أحضر جهاز التسجيل، ففوجئنا أن الأشرطة لا تعمل، لأن التراك المستخدم في تسجيلها يختلف عن تراك الأجهزة العادية، أحضرنا عدة أجهزة من عدة أماكن، لكنها لم تعمل أيضًا، تذكرت جيهان السادات جهاز كاسيت ياباني صغير الحجم، كان قد أهداها أحدهم إياه، ولكن واجهتنا مشكلة فرق الحجم، فجلسنا جميعًا وقسمنا الشرائط إلى أجزاء صغيرة، وبدأنا نستمع لها على أجزاء حتى الفجر.

بدا السادات مندهشًا وصامتًا طول الوقت، يبدو أنه كان يبحث عن مخرج، وبدا لأطراف المؤامرة أن هناك شيئًا غير مفهوم يحدث، فقرروا اغتياله بيد أحد القناصة الذين تم تدريبهم خصيصًا لهذه المهمة بشكل سري في نادي الرماية في أثناء زيارة السادات لدمنهور، نقلت الخبر للسادات فألغى الزيارة في اللحظة الأخيرة، ثم بدا واضحًا بالنسبة إليه أن ساعة الصفر حانت، فأقال وزير الداخلية أولًا، ثم حدد إقامة الباقين، ثم أعلن ثورة التصحيح.

عن المقابل الذي تقاضاه الضابط الشاب وقتها، قال: عرضت عليّ مكافأة مالية كبيرة، لكنني رفضتها، وقال السادات هذا الكلام بنفسه في خطبته الشهيرة «الضابط الصغير الذي أحضر لي

الشرائط رفض أي مكافأة من أي نوع»، لكنني حصلت على ترقية استثنائية من مقدم لعقيد، ثم عملت في رئاسة الجمهورية إلى أن انتهت خدمتي. وكان آخر لقاء مع السادات هنا في منزلي، على هامش فرح ابنتي، بعدها انقطع التواصل بيننا حتى تم اغتياله.

الموضوع يدعو للتأمل، شخص يحمل للسادات ما يثبت له أنه سيتعرض للقتل مع بداية حكمه فيهتم السادات لدرجة أنه يقوم بثورة (ثورة التصحيح)، وبعد هذة الواقعة بحوالى عشرة أعوام يحمل شخص آخر للسادات ما يثبت أنه سيتعرض للقتل فيرفض السادات حتى أن يرتدى قميص واق من الرصاص فيُقتَل، فى المرة الأولى خاف السادات على نفسه واتخذ اللازم، لكن بعد عشر سنوات من حكم البلد لم يعد السادات مهتما أو ربما صار أكثر إيمانا،و أنا أصدق الفكرة الثانية، أصدق أن حكم مصر يجعلك (تآمن بالله).

بالمناسبة أنا شخصيًّا أمتلك تسجيلًا لمكالمة سرية مع جدتي، كانت مع بداية ديسمبر الماضي قد هاتفتني من المكان الذي استقرت فيه بعد رحيلها..سأقوم الآن لأفتش عنه، هو هنا في مكان ما في غرفتي، علاقتي بجدتي أصلًا تصلح مسلسلًا، و فكرة كتابة مسلسل تظهر لي كثيرًا آخرها منذ عدة أيام، كان العَرَق يتساقط من فوق جبهة

صديقي قطرات متتالية فوق سماء (كرشه) الصغير، قال: «لماذا لا تكتب المسلسلات؟». قلت له: إنني أكتب لكن لا أحد يشتري، فقال: «اعمل لها إعلان في الوسيط». سألته إن كان قد جرب «الوسيط» من قبل، فقال: أيام الصعلكة والنصب والفلس نشرت إعلانًا تحت عنوان «تحف نادرة» قلت فيه: «للبيع فردة قفاز شاليمار هانم طبزة عشيقة الأمير سمير الأشقر». كان لدي فردة قفازة نتنة من مخلفات جدتي، فكرت أن أبيعها بهذه الطريقة بحثًا عن بعض الأساتك، سألته إن كان الإعلان جاب نتيجة؟ فقال: نعم، بعد يومين اتصل بي شخص قال إنه حفيد الأميرة شاليمار وإن فردة الجوانتي دي تخص العيلة وإنهم عايزينها عشان الفضايح».

هذه قصة عميقة يا صديقي.. قلت له.

مسح جبهته بأصبعه ثم نطر العرق في وجهي بعفوية قائلًا: لامؤاخذة.. صار العمق أمرًا مبتذلًا من فرط ادعائه طوال الوقت، الشخص الذي يصطنع العمق هو أكثر كائن يخشى أن يظهر للجميع سطحيته، أما من يبحث عن البساطة فهو شخص يكافح للهروب من ظلمات عميقة في روحه يخشى أن يورط فيها أحدًا، البساطة هي أكثر الأشياء عمقًا في العالم، البساطة مجرد (شبرين ميه)، لكن

(تتعب فيهم سفاين.. وتتوه الطيارات) على رأي أغنية الثمانينيات.

قال صديقي: البساطة كنز، لكن احذر السطحية، عندك مثلًا شعار شركة كوكاكولا الجديد (كأس العالم.. لكل العالم) به قدرة على إثارة الدهشة والانبهار لا تقل عن معجزة (شهداء ٢٥ يناير ماتوا ف أحداث يناير)، تلك البساطة المعجزة القادرة على شل حسين رياض من جديد بعدما حركت الثورة أطرافه، قلت له: ولكن الأغنية والشعار نجحا، فقال: إذا كانت (مصر أم الدنيا وهتبقى قد الدنيا) صارت شعار مرحلة ومدخل لحكم هذا البلد مش عايز كأس العالم لكل العالم تنجح.

قلت له: ربما ليست سطحية، ربما محاولة للتفكير خارج الصندوق؟

قال: هذا تفكير خارج صندوق الدنيا مش صندوق الأفكار، لقد تغير العالم بقسوة، كانت الذاكرة في المخ وصارت الذاكرة الآن مجرد شريحة تضعها في جيب بنطلونك «الوراني»، وكانت دقة زيادة في القلب تعني أنك واقع في الحب، لكنها اليوم تعني أنك

نسيت أن تأخذ حباية الضغط، كان البحث عن «فحمتين» شعار زبون القهوة فصار شعار دولة، وكان لدينا زمان ما يكفي من الرقة لأن نعتبر «قرقضة الفار تسبيحًا» فصرنا نمتلك من البلاطة ما يجعل شيخ فلان يفتي بأهمية أن تنفد بجلدك قبل أن يفرغ المغتصب من زوجتك فيفضى لك عشان «يحلي بيك»، كانوا يدافعون عن حق البنت في التعليم واليوم هناك بنات حققت مكانة وإنجازًا يجعلها «عايزة العريس بشنطة هدومه بس»، أرجوك ألا تعتبرني رجلًا «كيوت» يتحسر على الأيام الجميلة، لقد صرت متصالحًا مع التغيير، وأحاول أن أتعايش معه حتى تستمر الحياة، أنا شخصيًا مر عليَّ في مصر سنوات طويلة وأذكر أنه في آخر ثلاث سنوات قهرني المحكوم أكثر من الحاكم، وإذا تأملت وجهي الآن ستجد به خمس تجاعيد، واحدة من الزمن وأربعة من مصر.

كان كلام صديقي مؤثرًا، بالذات علاقة التجاعيد بمصر، أنا شخصيًا كنت أتمنى أن أسكن مصر عندما كانت تكسو الكعبة ، كان الموضوع له هيبة ما، منذ عهد عمر بن الخطاب والكسوة تخرج من مصر، ينفق على تصنيعها من بيت مال المسلمين، لكن الصنايعية هم أقباط مصر لدرجة أن نسيجها كان يسمى (النسيج القباطي)، ثم ظهرت شجرة الدر في عام كان بيت مال المسلمين يعاني ضائقة

ما في الوقت الذي هبت فيه رياح قوية أتلفت الكسوة فاقترض والي مكة حتى يكسوها بقماش أبيض -كما يقول محمد علي السيد في «من دروب الحج في مصر»- وعندما علمت شجرة الدر بالأمر جهزت كسوة الكعبة على نفقتها ثم أرسلتها، ثم أكد الظاهر بيبرس الفكرة بأن أعد الكسوة في العام التالي على نفقته، وسافر معها ليحل صراعات القبائل في الحجاز ونجح في ذلك فأطلق على نفسه لقب (خادم الحرمين الشريفين)، وصار اللقب متوارث ومن حق كل حاكم مصري حتى انتهت الأسطورة في عهد الملك فؤاد بعد أن قام أول ملك للسعودية بالاحتفاظ به لنفسه ومن بعده.

عبر أكثر من ١٣٠٠ عام كانت الكسوة من نصيب مصر صناعة، ثم صناعة وتمويلًا لدرجة أن الأمراء والملوك أوقفوا الكثير من مزارع منطقة القليوبية للإنفاق على الكسوة، بما ارتبط بذلك من دار تصنيع الكسوة وأجيال من «القصبجية» لتطريزها بخلاف حظائر الجمال التي كان تنقل الكسوة من القاهرة إلى مكة في احتفالات شعبية ضخمة، لكن الأمر كله توقف تمامًا في عهد جمال عبد الناصر، تحديدًا في عام ١٩٦٢، كانت هناك حساسيات ما بين الملك سعود وناصر لقيادة الأخير ثورات في كل أرجاء الوطن العربي بخلاف تجربة الوحدة مع سوريا وكل هذا المسيرة التي

جعلت الملك سعود يشعر بقلق ما، تفاقم هذا القلق بعد أن وصلت بعثة الحج المصرية إلى ميناء جدة بقيادة محمد توفيق عويضة أحد الضباط الأحرار، فوشى أحدهم للملك بأن عويضة قد تدرب على الاغتيالات السياسية وأنه جاء على رأس البعثة لاغتياله.

كانت البعثة تصطحب معها كسوة الكعبة الجديدة، وبعد انتظار طويل (١٦ ساعة) سمح للسفينة بدخول الميناء، وقبل أن يهبط منها الحجاج صعد إلى القبطان ضابط سعودي، وأبلغه بمنع نزول الكسوة من السفينة وأن لديه أوامر صريحة بإطلاق النار على كل من يحاول تكسير الأمر.

ثار وفد الحجاج المصريين، واعتبروا أن الكسوة واجب ديني لن ينزلوا من السفينة بدونها، فصارحهم المسئول السعودي بوجود ٢٠ ألف جندي سعودي خارج الميناء لديهم أوامر بإطلاق النار لمنع خروج الكسوة من الميناء.

فتحول الميناء إلى مظاهرة للحجاج رفعوا جميعًا صورًا لعبد الناصر مصحوبة بهتاف «ناصر كلنا بنحبك»، وصلت في الوقت نفسه سفينة مصرية أخرى تضم حجاج من مصر وفلسطين والمغرب فانضموا للمظاهرة، فدخلت سيارات الجيش السعودي

إلى الميناء مدججة بالسلاح فزاد هياج هتاف الحجاج (أرض الله.. لا ملك إلا الله) وحسم الحجاج موقفهم بعدم النزول بدون الكسوة مهما كلفهم الأمر، واستمر الوضع هكذا أكثر من ٣١ ساعة ما بين اعتصام محاط بسيارات الجيش والزوارق الحربية ومفاوضات بين بين كل الأطراف، أصر خلالها الملك سعود على موقفه فهو لن يعلق على الكعبة كسوة مكتوب عليها أنها صنعت بأوامر جمال عبد الناصر (كعادة الكسوة التي كان يكتب عليها اسم الحاكم) خاصة وأن ناصرًا من وجهة نظر الملط ملحد سلّم نفسه لشيطان الشيوعية الأعظم الاتحاد السوفيتي، على هامش المفاوضات طلب قبطان السفينة المصرية من الميناء السعودي التموين من وقود وطعام ومياه لكن السعودية رفضت، فبدأ الحجاج يتقاسمون المؤن القليلة التي اصطحبوها، إلى أن قرر الحجاج أن يغادروا الميناء، وأن يضحوا بفريضة قد لا يقدرون على أدائها في العام القادم مقابل موقف وطني.

استقبلت لنشات التموين المصرية السفينة فور دخولها المياه الإقليمية، وقرر زكريا محيي الدين وزير الداخلية أن تفتح بنوك السويس أبوابها خصيصًا مساء الجمعة فور وصول الحجاج ليستبدلوا الريالات بعملات مصرية، وتم سحب الكسوة إلى الجامع

الأزهر وعرض ستارة باب التوبة على المنبر، وصممت لها إضاءات خاصة احتفالية مع فتح الجامع ٢٤ ساعة والسماح للنساء بالدخول لمشاهدة الكسوة وانتهى هذا الاحتفال الشعبي الضخم بأن صلى ناصر العيد في الجامع الأزهر وسط حشد كبير هتف له وضد السعودية.

أما هناك فقد انتظر الحجاج ليروا كيف سيتصرف الملك، وبعد صلاة العيد وجدوا بقايا كسوة مصرية قديمة في مخازن الكعبة منذ ١٩٣٦ باسم الملك فاروق، وتم تغيير الاسم باسم الملك سعود ليتم تعليقها، بعدها وإلى الآن أصبحت صناعة الكسوة مهمة سعودية خالصة صناعة وتمويلًا.

بعد عامين من الواقعة (١٩٦٤) تم إقصاء الملك سعود عن الحكم لصالح الملك فيصل، ذهب بعدها الملك سعود ليعيش في اليونان، وفي أوائل عام ١٩٦٧ طلب من عبد الناصر السماح له بالإقامة في مصر، ففعل ناصر.

علاقتي بالأراضي المقدسة يمكن حصرها في ثلاث حكايات:

١. رسومات على جدار المنزل المقابل لمنزلنا في سوهاج

عبارة عن قافلة من الجمال وباخرة ملونة والكعبة المشرفة وسرب من الطيور البيضاء يعلو المشهد وأسفله جملتان (من زار قبري وجبت له شفاعتي)، و(حج وزار قبر رسول الله.. عبد العال الجبالي ١٣٩٠هجرية..حج مبرور وذنب مغفور)، بعد أن رسخ المشهد في ذاكرتي قام أحفاد الجبالي بترميم البيت بعد وفاته، أزالوا الجدارية ولونوا الواجهة باللون الأخضر الفاتح.

٢ في فريزر ثلاجتنا كانت هناك زجاجة بيضاء كانت في الأساس شربات فراولة من إنتاج مصنع قها، لكنني وعيت عليها مجمدة طول الوقت وبداخلها الثلج وقد كتب أبي عليها باللون الأحمر (ماء زمزم).

٣. كان هواة الموسيقى في المدرسة يتبارون في عزف مقدمة (أنت عمري)، وحدي كنت أفضل عزف مقدمة (القلب يعشق كل جميل)،كنت أعتقد أنها أغنية عاطفية إلى أن رأيت دموع جدتي تسيل أثناء الاستماع لها في التليفزيون.

هناك حكاية رابعة.. تمنت جدتي أن تؤدي العمرة في رمضان، عاتبت خالي على بطء إنهاء إجراءات السفر، وعدها خالي بأن

يعوض هذا التأخير فقالت له: «مش هينفع.. أنا خلاص هأسيبكم قريب»، قال لها خالي مداعبًا: «وناوية إمتى إن شاء الله؟». فقالت له: «الجمعة الجاية»، في صباح (الجمعة الجاية) توفيت جدتي، وكان أول يوم في رمضان.

عثرت على تسجيل المكالمة..

– آلو يا جدتي العظيمة هل لك أن تمدي كفيك لتدفئي ظهري على طريقة الأيام القديمة؟

= الدفء بجوارك ويدي لا تستطيعان الوصول إليك؟

- أين هو؟

= في شراب مستهلك غالبًا «فردة وفردة» كلتاهما يمين، ثم لم بنطلون البيجاما وضعه داخل الشراب وارتدى طاقية صلاة العيد الشبيكة أو شد كابيشون جاكت الترننج ، ثم تأمل نفسك في المرآة بهذه الهيئة مع دقن خفيفة تدفئ وجنتيك، واستمتع بهيئتك، وجرب قبل أن تخرج على أهلك أن ترقص في المرآة رقصة «شك شك مرزوقة تعالى جنبي»، أنا شخصيًا أفضل أن تؤديها أمامهم.

ضحكت فقالت لي الجدة..

= فتش عنه وستجد في التدثر ببخار القلقاس تمرينات لتصفية الروح من رذيلة التمرد على نوع بعينه من طعام الأم، دع البخار يتخلل أصابعك وتعامل معه كفاتح شهية قبل أن يتشرب طبق الأرز الأبيض الساخن ب «السليق»، يا حبذا لو كان في خلفية المشهد (روتانا كلاسيك) تبث فيلم «البحث عن فضيحة»، بينما يصل طبق المخلل إلى السفرة متأخرًا بعض الشيء.. يا كرابنتس.. يا حبايبي.

- ألم تكوني ترفضين من قبل مشاهدة الأفلام مرتين؟

= كان زمان اليوم أفتقد تلك الأفلام الساذجة كما أفتقد الشاي، قالت الجدة..

= خُلق الشاي من أجل هذا الطقس، بل إن الأسطورة تقول: إنه تم اكتشافه في الشتاء عندما كان يجلس ملك صيني في الحمام أمام إناء ماء يغلي ليستحم، ثم قرر أن يفتح النافذة ليغلق الشيش فهبت عاصفة محملة بأوراق الشجر سقطت واحدة في الإناء ولم ينتبه الملك لذلك، وعندما جلس في الماء فكر أن يغطس ليدفئ رأسه ويعمل «بقاليل» بالمرة فابتلع بعضًا من الماء الذي تحول إلى شاي بفعل الورقة التي سقطت فيه، طلب الملك خادمه وقال له:

«الميه طعمها متغير» فقال له الخادم: «إشاي بتقول كده». ومن هنا تم تسميته «إشاي».

_ هذه واحدة من حكاياتك القديمة يا جدة لقد أضحكتني.

= هذه أسطورة كاذبة طبعًا، لكن إذا أردت واحدة حقيقية فهناك أسطورة إفريقية تقول: إنه بعد خلق الدنيا كان هناك ملاك مسئولا عن تحديد وقت الزواج لكل مخلوق، دخل الضفدع فقال له: «تزوج مرتين مرة في أبريل ومرة في أغسطس»، ثم دخل الحصان فقال له: «أنت تتزوج في مارس فقط»، فشعر الحصان بالظلم فضرب الملاك بساقيه الخلفيتين بقوة وانصرف، ثم دخل الإنسان وسأل: متى أتزوج،كان الملاك وقتها ساقطًا على الأرض يتأوه بشدة من الألم، فقال له بصعوبة وهو يشير له بالانصراف: «في أي وقت.. في أي وقت».

ضحكت فقالت الجدة

= خلق كوب الشاي الساخن لتمسكه بكلتا يديك بعد أن تخرجهما من مخبئهما تحت كم جاكيت الترننج، لا بد من كوب زجاجي ليمنحك الدفء.. «المج» سيمنحك اللسوعة، بعد أن ينتقل الدفء

إلى كفيك دلك بهما أذنيك وقفاك، لا تستهين بمسألة القفا وتذكر أنك في أول رد فعل لك ضد البرد تحاول أن تقلص حجم قفاك بأن تنكمش برأسك إلى الداخل كسلحفاة، وهو فعل إذا نجحت فيه بالصدفة مرة واحدة ستتحول إلى سلحفاة حقيقية تعيش العمر كله في دفء صادق الأمر الذي يفسر كسلها الشديد وندرة خروجها من نفسها، لكن حتى تنجح وصفة الشاي عليك أن تزوده أثناء إعداده ب «عود قرنفل»، والأجمل أن تكون أنت من سقاة الشاي لكل أهل بيتك طول اليوم.

_ لا طعم للشاي في وحدتي هذه بدونك يا جدة.

= الشاي والبرد يحبا اللمة، هذا صحيح، لكن للبرد وليف مجهول اسمه «العزلة»، فلا مانع من اختراع «المربع السحري» الذي يجعلك تنتظر البرد على أحر من الجمر سنويًا، في ظل إضاءة الأباجورة التي تليق بشخص بردان عليك أن تنسى فكرة اللاب توب وقائمة الأغاني الجاهزة، عليك بالراديو وبهجة أن تذاع أغنيتك المفضلة فجأة (علموني حبك علموني..فيروز)، اختار روايتك وتخلى عن الناقد الذي يعيش بداخلك واقرأ ببطء يا حبذا لو كانت قراءة عن آلام البشر، اترك قدميك يتحركان تحت

«البطانية المتطبقة» كقطتين توأم، ولا ترد إلا على مكالمات «البردانين» فقط «أنت تعرفهم جيدًا»، وامنح الروح بهجة القهوة الساخنة، صدقني دقائق قليلة وستهجر كل ما سبق رغمًا عنك، وتسحب البطانية عليك وتطفئ النور وتروح في نوم لم تشهد له مثيلًا منذ الشتاء الماضي.

_ البرد قارس هذه المرة يا جدة! أتساءل عن حال الفقراء!

= أما الفقراء فعليك أن تحسدهم على «قروانة الأسمنت» المشتعلة أمام البيت طول الليل تبثهم الدفء والشاي المغلي والونس المجاني، «جرب أن تشعل واحدة في صالون بيتك»، لن تستطيع، ولن يسمح لك أحد، وستستسلم بذلك إلى الدفاية الكهربائية التي تبث حرارة ولا دفء، ابحث عن واحدة مشتعلة في أي مكان وانضم للمحلقين حولها واستمتع.

_ وماذا إذا فشلت في العثور على واحدة يا جدة؟

= فتش عن بعض الحب على الأقل إذا لم يكسر شوكة البرد سيجعله ممتعًا.

قلت لنفسى أفتش عن الحب؟

كيف أفتش عن الحب وأنا جائع يا جدتى، أحلم برغيف بلدي ساخن، وطبق من الملوخية، تصلح الخضروات كلها للتجميد، وحدها الملوخية التي تصلح للتنشيف، التجميد يفقد الخضروات زهوتها عند الطبخ كأنك نزعت هالة الضوء عن رأس قديس، التنشيف يمنح الملوخية رهبة ما لا تقل عن رهبة مدخل معبد الكرنك.

لا أحد يعرف قيمة الملوخية سوى الجنوبيين بل إنهم هم أول من عرفوها، كانوا الفراعنة يعتقدون أن الملوخية نبات سام فابتعدوا عنه، وعندما سيطر الهكسوس على الحكم أرغموا المصريين على أكلها لإذلالهم وإخافتهم، أكلوها فأحبوها فعبدوها (كان هناك مذهب يقول: إن قيمة الإنسان في الحياة الأخرى يقاس بمقدار ما تناوله من الملوخية)، ثم حرمها الحاكم بأمر الله على الشعب؛ لأنها (ملوكية) لا يتناولها إلا الملك، وهناك من يقول إنه حرمها لأن المصريين كانوا يأكلونها ثم يروحون في نوم عميق يحول بينهم وبين العمل، أصدق هذه الرواية خاصة أن قوة الإغماءة التي تفاجئك بعد الملوخية هي المقياس الأول لجودتها.

أكاد أجزم أن الملوخية هي الطعام الوحيد الذي يسري في الدم قبل امتصاصه، هكذا مباشرة من الفم إلى الجهاز الدوري، أشعر بها

تسير في العروق وتمددها فينساب الدم بنعومة فيحدث الاسترخاء الرباني الذي لا يوفره لك أجود أنواع المخدرات في العالم، تفقد السيطرة على نفسك تمامًا عندما تشعر بالملوخية تجري في عروق رأسك إلى أن تصل إلى الشبكية فتظلم الدنيا من حولك حتى تنسحب الملوخية من دمك تمامًا فتصحو رائقًا، من يتناول الملوخية ويستأنف ما كان يفعله في أغلب الظن تناول برسيمًا مطبوخًا.

الجنوبيون يعتبرونها أكلة مقدسة ويندهشون من هؤلاء الذين يضيفون الجميري إلى الملوخية ويرونهم (محدثين نعمة)، ويكرهون الذين يطبخونها بالصلصة، ويرون في ذلك إهدارًا لوقار الأكلة، أما من يضيفون (الطشة) إلى الشوربة وليس للملوخية نفسها فهم (مالهومش فيها)؛ لأن الطشة تفقد لونها الذهبي المميز الذي يزين وجه الطبق الأخضر وتتحول إلى أجسام بيضاء لا شخصية لها وتجعل الطبق نموذجًا لأكل العيانين، ويرون من يعصر نصف ليمونة على طبق الملوخية شخص ثقيل الدم، بينما لا يلتفتون أصلًا إلى الملوخية التي يترسب قوامها في قاع الحلة ولا إلى الملوخية التي تكتسب قوامًا أقرب إلى قوام السيريلاك ولا إلى الملوخية التي لا تعلق بلقمة العيش (ودن القطة) من فرط خفتها، ويعتبرون كل ما فات إهانة لهم إذا ما صادفوه في عزومة.

لقد تعلمتها من جدتي بالمراقبة، تقطيع الأوراق لا بد أن يكون من جذر الورقة وليس عشوائيًا، ولا بد أن تتعرض الأوراق للشمس حتى تجف، ثم تخرط على سطح خشن ويجب أن يتوقف الخرط قبل أن تفرز الأوراق مادة مخاطية تعلق بالمخرطة، أما الثوم فيسحق بخفة بشرط ألا يتحول إلى عصير، وعند تحميره في قليل القليل من السمن البلدي لا بد أن يضاف فور اكتسابه اللون الذهبي إلى الحلة مع شهقة ترد الملوخية عليها بواحدة أقوى، ثم كبشة من الملوخية في الطاسة تحتضن ما علق بها من الثوم الذهبي بعدها يعود المزيج مرة أخرى إلى الحلة.

هناك أصول للموضوع، لا يجب طبخ اللحم داخل الملوخية، لا بد أن تراه أمامك محمرًا (يا سلام لو فيه حتة ملبّسة اكتسب دهنها لونًا أصفر)، وكذلك الفراخ التي يحلو جلدها المحمر مع لقمة عيش بلدي ورشفة من سلطانية الملوخية، الله إذا كان إلى جوارها حمام بالفريك فتقطع مؤخرة الحمامة وتصبها بالفريك في السلطانية، ثم تتناول المزيج بالملعقة، البتنجان المخلل يقوي حضور الملوخية على المنضدة، وكلما كان الأرز بالشعرية كلما كان المزيج مؤثرًا أكثر من تتر ليالي الحلمية (ومنين بيجي الشجن)، أما إذا جاور طبق الملوخية طبق محشي فلفل من حقك أن تبكي الآن.

تصلح زراعة الملوخية في أية تربة، لكنها تحتاج فقط لقدر من الدفء، وهذا حقها، فهي الأكلة الوحيدة التي تشع دفئًا في كل البيوت المصرية، رائحتها هو الونس الذي يلمس قلبك وأنت تصعد السلم وتحاول أن تخمن من في جيرانك (طابخ ملوخية النهارده)، هي التي تقرب بين سكان البيت في (قعدة التقطيف) وتمنح جاذبية ما لأمهاتنا وهن يضعن الثوم في حجر جلاليبهن لتفصيصه، وهي أول طعام للأطفال بل المفضل لديهم لسنوات طويلة (رز بالملوخية)، وفي جهاز أي بنت مصرية لا توجد أداة يرتبط اسمها بأكلة معينة سوى (مخرطة الملوخية).

أفكر من أين يأتي الاختلاف إذا كانت المقادير واحدة، امنح ثلاث سيدات المقادير نفسها وستحصل على ثلاثة أطباق ملوخية لا شيء مشترك بينها سوى اسم الصنف، الموضوع ليس في المقادير ولكن في طريقة إدارتها، تقول الأسطورة الشعبية (الأهم من الشغل.. تضبيط الشغل)، فمثلا لو وضعت كل عيوب الزواج في كفة فإنها لن تصمد كثيرًا أمام كفة تحمل ميزة أن تقول لزوجتك: «اهرشيلي في ضهري»، بينما تقود أصابعها في الطريق إلى النقطة المنشودة، من هنا تبدأ فكرة (السكن) عندما تسكن إلى أصابعها وهي تفك شفرة نهايات الأعصاب التي ارتبكت في تلك النقطة ارتباك نزلة ميدان

لبنان، إنها لحظة لو علمت كل زوجة قيمتها لحصلت بسهولة على توقيع الزوج على عقد نقل ملكية الشقة باسمها.

الدرس المستفاد أن نعم ربنا كثيرة، ولكن الفزلكة تحرمك من استطعامها.

عندك مثلًا..

رجل فزلوك جلس أمام شيخ زاهد متعبد، كان الشيخ مريضًا وراضيًا، شاهده الفزلوك وهو يتناول الدواء، فقال له: «المرض قدر من الله، أليس الدواء اعتراضًا على قدر الله؟»، فقال له الشيخ: «هو من قدر الله»، فانكتم الفزلوك كتمة العدس.

هذا ليس نصحًا مجانيًا، ولكن الحياة صعبة ويعيشها الواحد دائمًا تحت شعار كن مستعدًا.. يقول أحدهم أن المطلوب من الواحد أن يقضي عمره يستعد للحظات معينة ويعمل لها حسابًا.. المعاش، الامتحان، الموت، الزواج، الإنجاب، انتهاء رخصة القيادة، فقط كن مستعدا ولا تفرط فى إنتظارها .

بالمناسبة أنت أصلًا في معية ما تنتظر، فكما أن انتظار الصلاة صلاة، فانتظار الفرج بما ينطوي ذلك عليه من أمل وثقة هو فرج، والوقت الذي يمر عليك في انتظار أن تقوم بـ (أذى) هو

(أذى)، وانتظار المتعة متعة مثل أن تقضي اليوم منذ بدايته متحمسًا حتى يحين موعد مباراة فريقك المفضل، انتظار وقوع الكارثة وقت محمل بالوجع نفسه الذي يتحقق على هامش وقوعها بالفعل، وهكذا تسير ملحمة الانتظار دول الوقت.

قل لي كيف ترى من جلسوا ينتظرون وصول الرسول إلى المدينة؟ هم في معية الرسول إلى أن أطل عليهم، بالرغم من أن معظم الأنصار لم يكن قد سبق لهم أن رأوه، لذلك عندما أطل عليهم من بعيد رجلان أحدهما الرسول والآخر سيدنا أبو بكر اختلط عليهم الأمر، أيهما الرسول؟ كانت الشمس في عنفوانها فخلع أبو بكر رداءه ورفعه صانعًا منه مظلة تقي الرسول أذى الشمس، هنا عرفوا أن الرجل تحت الرداء هو الرسول، كان الأنصار بالأيام التي قضوها على مشارف المدينة كل يوم ينتظرون وصول محمد منذ طلوع الشمس حتى غيابها شركاء في رحلة الهجرة بأن كانوا في معيته منذ انطلق من مكة ينتظرونه.

أما معية الرسول وأبو بكر فقد كانت تحت قوله: «لا تحزن إن الله معنا»، ومعية الله متحققة طوال الوقت «فأينما تولوا فثم وجه الله». ألم يكن أبو بكر على علم بهذا الأمر؟ بلى، لكن تحت وطأة الموقف

ربما نسي، ولم يكن قول الرسول «إن الله معنا» سوى تذكير لأبي بكر، والتذكير ينطوي على فعل أمر، إن الله معنا فكن معه، الثابت أنه معنا وعليك أن تغلق الدائرة بأن تصبح أنت معه، بدليل أنه عندما تذكر أبو بكر معية الله فأسلم نفسه لها حدث أن {فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها} إلى آخر الآية.

الله معك وهو في انتظار أن تكون معه.

يقول إبراهيم ابن ادهم: «إذا أردت أن تعصي الله فاختبئ في مكان لا يراك فيه». ولماذا يحاصرك هكذا؟ لأنه في معيتك، ينتظرك، هي نظرة من فرط سهولتها تبدو صعبة، لكن في حال إمساكك بها لن يفرق معك أي شيء في الكون. أو كما قال محمد فوزي: «طير بينا يا قلبي ولا تقوليش السكة منين.. ده حبيبي معايا ما تسألنيش رايحين على فين».

أحب محمد فوزى و حلمت به كثيرا كصديق يفرط فى المشاكسة الرائقة ، تمنيته معى على متن الطائرة في الطريق إلى غانا لمشاهدة مباراة كرة قدم للمنتخب انتهت بهزيمة تاريخية، أتذكر جيدًا تلك اللحظات.

بعد هدف (أبو تريكة) أشعل المشجعون بعض الشماريخ فأضاءوا استاد (بابا يارا) وسط دهشة الغانيين، بعد دقيقة ألقى أحد المشجعين الشمروخ بعد أن أنهى مهمته وتحول إلى مجرد هيكل شبه محترق، انحنى أحد أفراد الشرطة الغانية والتقط الشمروخ الفارغ ثم رفعه في وجه المشجع وهو يصيح بمنتهى العصبية والفزع

?Do you want to kill me? Do you want to kill me

اندهش المشجع من (أفورة) الشرطي الغاني فقال له نصًّا: «كيل يو إيه يا عم الحج.. إت إز شمروخ».

كان المشجع يرتدي فانلة الزمالك، كنت أنقل النظر بينه وبين الجندي المرعوب، على يساري قليلًا كان يجلس بين المشجعين عبد الله السعيد لاعب الأهلي يتابع المشهد بنصف ابتسامة، بينما على البعد تلوح من مدرجات مشجعي غانا لافتات رابعة، وفي نقطة أعلى شاب نصف عارٍ يحاول أن يعلق على سور مدرج المصريين علم السويس الذي أسقطه الهواء، في تلك اللحظة أحرزت غانا هدفها الرابع.

قبل السفر وفي مكتب التطعيمات كان يسبقني في الدور وفد

من عشرين عاملًا مصريًّا في طريقهم إلى الكاميرون، كان أداؤهم مستفزًّا لدرجة أربكت الممرضة ضاربة الحقن، ظلت المناوشات مستمرة حتى أتى دوري للحصول على ثلاث حقن، بعد اثنتين اشتعل الموقف مجددًا فتركتني الممرضة وتوجهت ناحيتهم في اشتباك لفظي طال قليلًا، وعندما عادت إليّ سألتني: «أنت أخدت انهي اتنين؟». كان السؤال صعبًا والإجابة شبه مستحيلة خاصة وأن جميع الحقن مفروشة بعرض مكتبها، راجعت دفتر الأسماء والعهدة لكنها لم تصل إلى إجابة قاطعة، كان هناك حل وسط أن أكتفي بتطعيم ضد مرضين لا أعرفهما وأترك الثالث على الله، هذا أفضل من احتمال الحصول على جرعة زائدة قد تقضي على الواحد.

ارتضيت بالحل، ثم قضيت الأيام التالية أحاول أن أتعرف على نوع التطعيمات التي حصلت عليها عن طرق مذاكرة الأعراض الجانبية لكل واحد، في كوماسي عرفت أن أحدهما كان تطعيم الصفراء من فرط الحمى والرعشة التي سرت في جسدي صباح يوم المباراة.

آلام شديدة في الجسم كله جعلتني أعيد التفكير في مسألة الذهاب إلى الاستاد، لكنني تحملت على نفسي، وهناك انهارت المقاومة

تمامًا بعد أن هطلت الأمطار لأكثر من ساعة تشبعت فيها ملابس الواحد بالماء فاكتملت دائرة المرض، وبت أتابع المباراة كأنني أحلم، ثم سرعان ما تحول الحلم إلى كابوس، بعد الهدف الرابع كنت أشق طريقي خارجًا من الاستاد، كانوا قد أكدوا علينا ألا يقوم أحدنا بمثل هذا التصرف وأن يلتزم بالبقاء في المدرج إلى أن تخرج كل الجماهير الغانية، لكن الحالة كانت سيئة فخرجت على غيز هدى باتجاه باب الاستاد.

في الطريق إلى الباب كانت تمر بالواحد مشاهد كثيرة، لاعبو المنتخب الغاني جيراني في الفندق الذين لم ينقطع مرحهم في ردهات الفندق طول الوقت دون حساسيات، بينما لاعبو منتخبنا يختبئون في غرفهم في كل مرة يدخل صحفي مصري إلى الفندق، المناوشات الضاحكة مع المدير الفني لغانا على طاولات العشاء المتجاورة، ومشهد مدرب مصر وهو يعنف المصورين المصريين ويطردهم من أرض ملعب التمرين، هذا البلد الرائع الذي يعشق مصر لكن مصر تدير ظهرها له فاحتلتها جامعة إيرانية وشركات إسرائيلية، بيوت مصرية أعرفها وهي تتابع المأساة تليفزيونيًا في أول أيام العيد، التطعيم الناقص وما قد يترتب على غيابه هذا المنتخب الذي كسبناه على أرضه منذ ثلاث سنوات وكيف مرت السنوات الثلاث عليه وعلينا حتى وصلنا إلى هذه النقطة.

على باب الاستاد وجدت مئات مشجعي غانا يقفون يتابعون المباراة عبر سماعات كبيرة تذيع التعليق، التقت أعيننا، تذكرت تنبيهات عدم الخروج، توقفت لثوانٍ، كان واضحًا بالنسبة لهم من أنا، شخص ما بينهم رفع يده وصفق فبدأ الجمع كله يصفق لي بحماس، بينما ابتسامات محبة ما تعلو الوجوه كلها.

بادلتهم المحبة إلى أن خرجت من بينهم، كانت شوارع كوماسي خالية تمامًا، التقطني مهندس مصري يعمل في أكرا غادر الاستاد قبل دقائق وكان بالصدفة يقيم في الفندق نفسه فعدنا سويًا.

بعد المباراة وفي الطريق من كوماسي إلى أكرا كان الأتوبيس يضع علم مصر، أثناء المشوار رأيت عبر النافذة شابًا غانيًا يقود موتوسيكل وعلى وجهه ابتسامة عريضة، رفع يده اليمنى ولوح لي بالأصابع الخمسة، كان يحتاج إلى أصبع من يده الأخرى لتكتمل نصف الدستة لكنه كلما هم برفع يده الثانية اهتز الموتوسيكل في يده، حاول أن يفعلها كثيرًا ليشير بالستة، لكن الأمر كان محفوفًا بالخطر، وظل يحاول دون فائدة إلى أن تجاوزناه.

توقفنا قليلًا في إحدى المحطات للتزود بالماء والعصائر ثم تحركنا..

تحركنا، وبينما الأتوبيس يهدئ من سرعته في مدخل إحدى القرى ظهر شاب الموتوسيكل من جديد، يبدو أنه قد تدرب جيدًا على الحركة إذ مر من جواري وهو يرفع يديه الاثنتين بعلامة الستة بينما الموتوسيكل يحافظ على توازنه بشكل طبيعي، كانت ابتسامته أكبر هذه المرة فرحًا بالنتيجة وبنفسه، وأنا قلت لنفسي: إن هذه الروح هي التي تستحق بالفعل أن تصل إلى كأس العالم.

عندما بدأ كأس العالم كان حماسى غائبا تماما فى أول أسبوع، كنت أقول لنفسي:

ما تشاهده الآن مجرد مقدمة هي في الموسيقى (الأوفرتيرة)، في أول تعاون بين أم كلثوم وعبد الوهاب (أنت عمري)، جلس عبد الوهاب يرتعش خوفًا من الفشل في الكواليس حتى صفق الناس بصدق لمعزوفة المقدمة فاطمأن قليلًا للنجاح.

في السينما تبدأ الدراما الحقيقية مع الدقيقة العشرين، قبل ذلك لديك وقت للتعرف على الأجواء العامة والشخصيات المشاركة والتنبؤ بالطريقة التي ستسير عليها أحداث الفيلم، بل إنك تستطيع أن تعوض كل ما فاتك في جملة ونصف إذا ما وصلت إلى دار العرض بعد بداية الفيلم بعشر دقائق (دخل على والدته فوجدها مع البواب،

فثار لكرامته، أخبرته أمه أنه ليس ابنها، فبدأ الابن في رحلة البحث عن والده بمساعدة البواب) .

كنت أقول لنفسي: كأس العالم سيبدأ عندما يتم حذف نتيجة التعادل من الخيال العام، حرب بفائز ومهزوم أسخف ما فيه ابتسامته (يكفي ابتسامة المهزوم سخافة أنها تنسي من يستحق النصر فرحته.. أذى نفسي مجاني يعني)، وعندما تنتهي ميوعة نقطة واحدة تكفي للوصول، عندما ينقطع الأمل كالحبل السري، وعندما يصبح هدف الثانية الأخيرة سببًا لترسب الفيبرين على شكل خيوط متشابكة تتجمع فيها خلايا الدم داخل العروق مسببة الجلطة، عندما يصبح فوز فرقة صغيرة على أخرى قوية أكبر من صدفة أو غلطة يمكن علاجها، عندما تضيع زهوة مشهد الحسناوات في المدرجات أمام مشهد الحكم الرابع وهو يحمل لوحة الوقت المحتسب بدل الضائع.

قلت لنفسى : حتى هذا الحين يمكنك أن تفتش عبر الإنترنت عن المحلات التي تبيع الأسبراي الذي يستخدمه الحكام لتحديد المسافة التي يجب أن يتوقف عندها الآخرون، أنت بحاجة إلى واحد في كل مكان، في المترو، في صالة العمل، في العلاقات العاطفية، أينما حللت لا بد أن تتعلم كيفية إيقاف الآخرين عند مسافة ما.

يمكنك أيضًا أن تتفهم سر جاذبية حسناوات المدرجات في وجودهن في مكان ذكوري للغاية، يصادفك مثلهن كثيرًا في إعلانات تجارية أو عروض أزياء فتتابعهن بربع اهتمام، لكن تواجدهن في المدرجات يمنحنهن سحر الكونتراست، جرب أن تتخيل حبيبتك وهي تتجول في المنزل مرتدية بوكسر حضرتك وفوقه قميص بكم من دولابك، وقل لي كم زادت جاذبيتها؟

يمكنك استغلال هذه الفترة التحضيرية في التحسر على البراءة التي فقدتها اللعبة منذ تدخل فيها رأس المال، وقت أن كانت الكلمة لدهشة الطفولة قبل الاحتراف، يروي (جاليانو): إنه في كأس عالم مبكرة أحرز لاعب أحد الفريقين لأول مرة في تاريخ الكرة هدفًا من ضربة ركنية، توقف اللعب لأكثر من ساعتين لأنهم لم يعرفوا هل يصح احتسابه هدفًا أم لا؟ وطال استجواب اللاعب حول إن كان يقصد إحراز هدف بهذه الطريقة أم لا؟ بينما الفريق الآخر يصر على أنه لم يتوقع أن يصوب اللاعب في المرمى وأنها خيانة، لكن الحكم اعتبرها خيانة مشروعة.

وهذا ليس قدحًا في عالم كرة القدم الآن، فهو تغير طبيعي، فبالأمس كان عبد الوهاب يرى في نجاح المقدمة الموسيقية التي

تزيد عن خمس عشرة دقيقة نجاحًا للعمل كله، وبعد ذلك بسنوات طويلة صار الموزع الموسيقي يرى أن نجاح المقدمة الموسيقية في أن تكون (إفيه موسيقي) يصلح كـ (رنة موبايل).

أودع الثلاثينيات بزنة في المخ وكأس عالم يلعب فجرًا يحاول الواحد إقناع نفسه أنه كبر وعليه أن يتابع مباريات كأس العالم كشخص يبحث عن متعة تأمل المشهد بالعرض دون التوقف عند الحماس لفريق معين، يجب ألا يتأثر الواحد بهزيمة أو نصر ولا يوجد في البطولة من يستحق أن يرتفع ضغط الواحد تأثرا بنتائجه، كان هذا هو اتفاقي مع نفسي في طريق العودة إلى المنزل بالديكورد، وكنت مقتنعًا تمامًا بفكرة احترام السن خصوصًا، وأنني في سن مبكرة لم أدخر رد فعل من أي نوع أثناء التشجيع، فليتدرب الواحد على المنطقية والموضوعية والاستمتاع باللعبة الحلوة، وتأمل التجربة بشكل إنساني.

فى مباراة ما لاحظت أن أحد الفريقين يتعرض لظلم تحكيمي، فانهار كل ما أقنعت به نفسي وبدأت رحلة الانفعال الممتعة، فلتذهب تلك الحكمة الكاذبة إلى الجحيم، ولتكن المتعة بحجم الأموال التي استهلكها جهاز البث، إلى الترقب إذن والعصبية والدعاء من القلب

بحرقة لمهاجم تلك الدولة الفقيرة حتى يحرز هدفًا يكسر به أنف فريق يمثل دولة عظمى، إلى التشجيع بعاطفة بحتة منبعها أن الواحد يرتاح لطلة هذا اللاعب الكرواتي، والشعور بالظلم الذي تعرض له لاعب ألماني مسلم خلال مسيرته الاحترافية، والتشفي في لاعب برازيلي يشبه عامل الدليفري في سوبر ماركت العائلات، التشفي فيه بعد أن سرق الأضواء من لاعبي المفضل في فريق أوروبي كبير..

قررت أنه لن تبدأ المباراة قبل أن أحدد الفريق الذي سأتحمل نتيجة تشجيعه عن جهل، هذا التشجيع العشوائي بمشاعره المزيفة أفضل كثيرًا من الجلوس لمدة تسعين دقيقة بمشاعر رزينة تشبه طعام المستشفيات، المشكلة كانت في الاختيار، كان الواحد يبحث عن أسباب حتى يجد واحدًا مقنعًا، هذا فريق به لاعب أحبه فلأشجعه، وهذا فريق أحترم تاريخ مدربه، وآخر أشجعه في سياق دعم دول العالم الثالث في صراعه مع العالم المتقدم، وهذا فريق من بلد أخرجت أديبًا كبيرًا في حجم ماركيز، وهذا فريق من بلد أعلن الحداد شهرًا بعد انهيار مبنى ملجأ فوق أطفاله، وهذا فريق كان حماسة ساعة عزف السلام الوطني لبلده ملهمًا وحماسيًّا، وهكذا سارت الأمور، كانت الحكمة هي الهدف في البداية، ثم سرعان ما أصبح الهدف هو البحث عن المتعة الصبيانية الطائشة، هذه هي كرة

القدم، قلت لنفسي: من يريد الحكمة عليه أن يتابع ماتشات التنس على بي إن ٦.

لكن كل هذا لا ينفي أنني كبرت، ف الجزأ الأكبر من متعة متابعة ماتشات كرة القدم يكمن في أنك تستطيع أن تتخيل نفسك مكان لاعب أو أكثر من الموجودين أمامك، أنت تستطيع أن تطير في الهواء برشاقة أكبر للإمساك بالعرضية، أو تمتلك حيلة عجيبة لتمرير الكرة من بين ساقي الحارس في انفراد غادر، العلاقة طردية بين قوة هذا الخيال وبين سنك لحظة الخيال، فكلما كنت صغيرًا كانت لديك فرصة أكبر لتحويل هذا الخيال إلى حقيقية، فيومًا ما ستكبر وتأخذ مكان هذا اللاعب، وإن لم يحدث فعلى الأقل لديك ملاعب موازية في الشاعر على الأقل تستطيع بلياقتك المكتملة أن تثبت لنفسك أنك أكثر مهارة.

كلما كان سنك أصغر من متوسط أعمار اللاعبين على الشاشة كلما كانت المشاهدة أكثر إمتاعًا، لا غضاضة في أن ترى لاعبًا في عمر والدك أو خالك أسطورة تعاملها كمثل أعلى، لا مانع من اختيار اسم هذا الأسطورة ليكون اسمك الثاني الذي تحب أن يناديك به الناس في الملعب، ثم في بير سلم العمارة (علشان تنزل السبت).

أنا شخصيًّا كنت صغيرًا بما يكفي ليجعلني أرى مارادونا عملاقًا.

ثم يحدث تحول ما عندما يصبح متوسط عمر اللاعبين في نفس عمرك، لقد فاتت فرصة أن تأخذ مكان أحد في الملعب الحقيقي، ولم يتبقَّ لديك سوى دقائق في ماتشات هزلية في نهاية الأسبوع تقف في نهاية بعضها على حوافّ كل أنواع الشد العضلي الممكن، أنت في هذه المرحلة تتابع اللاعبين كأنك تراقب زملائك في العمل، خليط من المتعة والامتعاض، متعة يشوبها فرق الحظوظ الذي جعل هذا ال (ما عندوش فكرة) محبوبًا جماهيريًّا ويحظى بشهرة ضاعت منك كل السبل إليها.

عندما بدأ الواحد يتابع لعيبة من نفس عمره بدأ التشويش على جنون التشجيع، في هذه اللحظات تختلط الكرة بمقارنة أحوالك الشخصية بأحوال ناس من جيلك، ما الذي حققه كل واحد منكم، تتابع الكرة وأنت مشغول بإن كانوا قد تزوجوا وعندهم كام عيل وما نوع السيارة التي يستقلونها وأين يسكنون، إذا كنت طفلًا وقال لك أحدهم: يا تريكة ستشعر بنشوة ما، لكن في هذا السن عندما يقول لك أحدهم: أيه يا أبو تريكة!! فهناك سخرية ما عليك أن تعرف السبب منها.

ثم يحدث أن يتيه المعلق فخرًا بـ (نيمار) مواليد منتصف التسعينيات، تلك الفترة التي بينما كان نيمار يتعرض خلالها

كل ساعتين لمسح مؤخرته كنت أنت كبيرًا ومهووسًا بما يكفي للسخرية من مؤخرات العابرين في الشارع، أنت الآن بعيد تمامًا عن الملاعب، وعليك أن تتابع أطفالًا في عمر أولاد أختك، وأن تتحمل مديح العالم لهم، و إذا كان نداء أحدهم لك بـ (إيه يا تريكة) به سخرية ما فمن حقك إذا ما ناداك أحدهم بـ «إيه يا نيمار» أن تفشخه تمامًا.

هل يعني هذا أن جيلي يتابع الماتشات وهو (منفسن)؟ بالعكس، جيلي ما زال يجد لنفسه عمالقة أكبر منه سنًّا وتجربة في الحياة، يتابعهم بإعجاب وتقدير، وهم المدربون.

المتعة الآن أن تتخيل نفسك مكان أحدهم، ولديك فرصة لتحويل هذا الخيال إلى حقيقية، فيومًا ما ستكبر وتأخذ مكان هذا المدير الفني إن لم يكن في الملعب فعلى الأقل في الشركة حيث سيكون تحت يدك ساعتها شوية عيال من سن نيمار تستطيع أن تحرز بهم انتصارات لا أحد يعرف سرها مثلك.

بالمناسبة.. أعرف أسرارًا ثمينة بعيدًا عن الكرة، عرفتها من مؤرخ اسمه (عمرو عبد العزيز منير)، مثلا عن وجه أبي الهول.. فليس صحيحًا ما أشيع عن أن نابليون هو الذي شوهه بتوجيه

مدفعيته إليه لأنه لم يتحمل نظرته، ورأى فيه سخرية مستفزة، يقول «المقريزى»: إن المصريين كانوا يؤمنون أن أبا الهول هو طلسم الرمال أي أنه التميمة التي تمنع زحف الرمال على المنطقة فتدفنها، وفي إحدى السنوات قام شيخ متعصب اسمه «محمد صائم الدهر» بحملة لإزالة المنكرات والتصاوير ومن ضمنها طبعًا أبو الهول، وظل يجاهد في تحطيمه إلى أن اكتفى بتشويه فمه وأنفه إلى أن ظل على هذا الحال إلى يومنا هذا، وعندما علم الحاكم –وكان العام ٧٨١هجرية- قبض عليه وقطعه إربًا وأمر بدفنه بجوار أبي الهول، الغريب أن بعد تحطيم وجه أبي الهول بدأ الرمل يزحف على المنطقة حتى غطى أراض كثيرة من الجيزة كان يصل إليها النيل!

المصريون يقدسون ما يرثونه عن الأجداد، فما بالك لو كان الورث ذا صبغة دينية مثل أعتاب المساجد ومقامات الأولياء، كانت المعارضة شديدة لوطء العتبة بالقدم أو الجلوس فوقها، العتبات طاهرة، بل إن البعض كان يتداوى بلمسها، ومن هنا ظهرت أغنية الموروث الشعبي التي تعلم الطفل المشي «تاتا خطي العتبة.. تاتا حبة حبة»، تدرب الأم طفلها على أن تكون خطوته واسعة بحيث «يخطّي من فوق العتبة» دون أن يدوس عليها.

الأبناء حاضرون بقوة في أساطير المؤرخين فيقول المقريزي: إن مصرايم ابن مصر بن بيصر حام ابن سيدنا نوح عليه السلام بعد أن دان له حكم مصر من البحر إلى السودان وزع أقاليم مصر على إخوته الثلاثين، فسمى كل واحد من أحفاد نوح الثلاثين إقليمه باسمه، وكانوا يرون الفضل في ذلك لدعاء جدهم، وكان أسماء هؤلاء الأحفاد رشيد سيفه (الذي بنى مدينة بني سويف) وأشمون وأسيوط، وتنا (قنا)، وجرجه (جرجا)، وأثوان (أسوان)، وحلفه (حلفا) عليهم وعلى جدهم السلام، قد تسألني وما علاقة سيدنا نوح بمصر؟ يقول البكري في (الروضة المأنوسة): إن نوحًا عليه السلام لما طاف الأرض بالسفينة صار كلما مر ببلدة خرجت ملائكتها التي تتولى حراستها لتحيته، إلى أن وصل إلى مصر فلم يخرج إليه أحد فأوحى إليه الله بأن لا تعجب فكل بلد قيدت لها ملائكة لحراستها ما عدا مصر فإنني توليت حراستها بنفسي، فلما أراد نوح تقسيم الأرض بين بنيه أعطاها لحفيده «مصر»، قد تسألني عن (الفيوم).. يقول ابن إياس: إن الله أوحى لسيدنا يوسف أن يعمر هذه المنطقة ويصل ماءها (ربما في خطوة استباقية على السنين العجاف)، ثم عمرها في مدة «ألف يوم» فصار اسمها «الفيوم»، أما «المقطم» فاسمه مأخوذ من القطم أي القطع، وذلك لأنه منقطع الشجر والنبات، ولماذا

أصبح على هذه الحال؟ يقول ابن الزيات في «الكواكب السيارة»: إنه لما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى أوحى إلى الجبال أني مكلم نبيًّا من أنبيائي على جبل منكم وأوحي إليهم أن يجود كل واحد منهم لجبل الطور بشيء مما عليه، فجاد كل جبل بشيء ما عدا المقطم فقد جاد بكل ما عليه من شجر ونبات وماء، فأوحى الله أيه لأعوضنك عما كان على ظهرك.. لأجعلن في سفحك غراس الجنة. ربما كان إيمان المصريين السابقين بهذه الأسطورة ما جعلهم يدفنون موتاهم عند سفح هذا الجبل فتكونت هناك أكبر مدافن القاهرة.

أنا شخصيًّا لدي قناعة أن إيمانك بأسطورة ما.. يمنحها حياة واقعية.

هذا ليس تحيزًا ضد من لا يؤمن بشيء.

أنا مثلا لا أؤمن بالنظرة الشائعة لانتصار اكتوبر باعتباره أعظم ما حدث، ولا أؤمن بسطحية الثرثرة الشعبية المتداولة عن مسألة التفاحة والخروج من الجنة، ولا أؤمن بقانون الأوبر الذى يجبرك على حضور الحفلات برابطة عنق ..

طيب فلنتعامل مع هذة الأفكار واحدة واحدة ..

أما أكتوبر ..

مَن يقلب أوراق التاريخ سيعرف أن النكسة كانت مسألة أيام قليلة نتجت عن قيادة ماعندهاش فكرة، لا عن الحرب ولا عن الانسحاب، ثم حدث أن تمت إزاحة هذه القيادات، وبعدها بأيام عاد الجندى المصرى إلى مواقعه ليبدأ رحلة الانتصار العظيمة التى استغرقت ست سنوات شهدت بطولات إذا ما تمت مقارنتها بنصر أكتوبر ستعرف أن الأخير على عظمته كان أقلها شأنًا، إذا وضعت فى حساباتك أن رحلة الانتصار التى بدأت عقب النكسة بأيام كانت بجيش فقد أكثر من ٨٠٪ من معداته بخلاف خسائر الأرواح، بينما جيش أكتوبر كان قد تجاوز كل الأزمات وأعد نفسه كما ينبغى لجيش كبير فى معركة وجود، فلم يكن ينقصه ساعتها سوى قيادة تمتلك خطة.

خلال السنوات الست كان الجيش المصرى يخوض معارك مليئة بالشرف، بعد أيام من النكسة حدثت معركة رأس العش الشهيرة، حيث تقدمت مدرعات إسرائيلية لاحتلال بورفؤاد لتجهز على ما تبقى من معنويات المصريين، لكن فصيلة صاعقة ٣٠ جنديا يحملون أسلحة خفيفة كسبوا المعركة معنويا وحربيا بدرجة جعلت إسرائيل

تتوقف عن التمادى فى استعراض قوتها، بعدها بأيام تم إغراق المدمرة إيلات بصاروخين بحريين انطلقا من زوارق فى بورسعيد، كانت الصدمة قوية، وكان هذا أول استخدام للصواريخ البحرية فى التاريخ ترتب عليه إعادة النظر فى استراتيجية الحروب البحرية، ثم سقط جهاز المخابرات المصرى القديم وبدأت التحقيقات العلنية فى قضية انحرافه، وكذلك التحقيق مع وزير حربية النكسة وقادة الطيران، وعندما حصلوا على أحكام هزيلة خرج الشعب الذى سبق له أنْ قال لناصر لا تتنحَّ، معقبًا على نتيجة المحاكمات بهتاف «ولا صدقى ولا الغول.. عبد الناصر هو المسؤول»، الشعب أيضا تجاوز المحبة العمياء وخرج يرش الزعيم بالماء البارد ليفوق، فاق الزعيم وغيَّر قياداته وأطلق ميثاق ٣٠ مارس المصحح لارتباكات الدولة، ثم بدأت حربيا مرحلة «الدفاع النشط» وهى طريقة حرب تنقل مصر من الدفاع إلى الهجوم بالتدريج اعتمادًا على المدفعية الثقيلة التى دكت الأهداف الإسرائيلية بشكل أثار جنون إسرائيل ودفع القيادة لتهجير أهل القناة حماية لأرواح المدنيين فى تلك المعركة المشتعلة التى جعلت ديان يصرخ قائلًا «سأجعل منطقة القناة مقبرة مصرية»، وعندما فشل قرر أن يضرب العمق المصرى انتقامًا فأغار على أحد مصانع نجع حمادى، فكان الرد على الجبهة شديد الحدة لدرجة أن

رئيس أركان الجيش كان يقود المعركة بنفسه من الخطوط الأمامية وهناك استشهد، فخلد اسم عبد المنعم رياض بعد أن أهلك ٢٢ دبابة إسرائيلية و٥ طائرات و١٠ بطاريات مدافع و١٠ منصات صواريخ، ومن بورفؤاد إلى رأس العش كانت قوات الكوماندوز تتسلى يوميا بالعبور إلى الضفة الشرقية وتدمر معسكرًا للعدو، إلى أن تم العبور الأول المنظم قبل أكتوبر بست سنوات عند لسان التمساح بالإسماعيلية ذهب الجنود وعادوا كاملى العدد يحملون علم الموقع الإسرائيلى الذى ساووه بالتراب، هنا لجأت إسرائيل إلى مجلس الأمن للمرة الأولى فى أبريل ٦٨ ليضغط على مصر لوقف القتال فى منطقة القناة، فى هذه اللحظة كان ناصر يقول فى خطاب عيد العمال فى حلوان «تم تدمير ٦٠٪ من تحصينات العدو فى خط بارليف، ولن نسمح بأن يتحول خط النار إلى خط ثابت تقف عليه إسرائيل مستريحة»، بعدها بأيام حاولت إسرائيل عبور القناة إلى الضفة الغربية فتم إغراق زوارقهم، أعلنت مصر الخبر فنفت إسرائيل بقوة، فطلبت مصر من هيئة الصليب الأحمر أن تتسلم رسميا جثة أحد قادة الزوارق الإسرائيلية، ثم أعلنت إحدى الصحف البريطانية أن مصر أطلقت نحو ٥٧ ألف طلقة مدفعية على «بارليف» منذ ٨ مارس ٦٧ أدت إلى تحطيمه نسبيا، وعندما ثار الرأى العام الإسرائيلى اضطرت الحكومة إلى المصارحة فأعلنت

أن الحوادث على الجبهة كانت فى بداية الحرب بمتوسط ٩ شهريا واليوم بمتوسط ٣٧٠ حادثة، كان العبور إلى ما خلف نقاط العدو أمرًا شبه يومى لدرجة مربكة بحرًا بعملية إيلات الشهيرة وبرًّا بمئات المعسكرات التى تم تدميرها، أما المدفعية فلم تجعل إسرائيل تمتلك نصف فرصة لإعادة ترميم خسائر خط بارليف بتحصيناته ومنصات صواريخه وراداراته، عند هذه النقطة فقدت إسرائيل أعصابها فبدأت فى قصف أهداف من نوعية مدرسة بحر البقر.

كان كل هذا يحدث فى وقت بلغ فيه ضعف الموارد أنْ أصبحت الصحف المصرية تصدر فى ٤ صفحات فقط، وبينما ناصر يحارب للحصول على دعم السوفييت فى مجال التسليح، نجحت مفاوضاته نسبيا لدرجة أن إسرائيل بررت عدة هزائم متلاحقة فى الشهور الأخيرة بأن طيارين سوفييت شاركوا فى الدفاع عن عمق مصر، ولولا أن مصر كانت صاحبة الكفة الأرجح فى هذه الأيام ما كانت أمريكا تطرح «مبادرة روجرز» لوقف إطلاق النار لـ٣ أشهر، كانت مصر متفوقة وكانت أمريكا تريد لصديقتها أن تلتقط أنفاسها، وقبِل

ناصر المبادرة لاستكمال بناء حائط الصواريخ - أرض جو، الحائط الذى كان المفتاح الأهم على الإطلاق فى انتصار أكتوبر.

الحكايات التى تقول إن النكسة كانت مجرد كبوة لجواد أصيل لا تنتهى، وهى بعرض سنوات ست لم تخلُ من انكسارات من نوعية رحيل ناصر المفاجئ وتخلّى الأصدقاء وضعف الحالة الاقتصادية .

يجب أن نحكى من جديد أن الموضوع أكبر من ٦ أكتوبر، وأن الجيش المصرى ربما تعثَّر فى الطريق لكنه لم ينهزم، كان وصف النكسة هو الأصدق، إذ إن الجنود الذين خرجوا من سيناء فى ٥ يونيو سيْرًا على الأقدام هم أنفسهم الذين كانوا يعودون إليها فى اليوم مرة واثنتين على مدى سنوات ست.

خلصنا من أكتوبر و دعنى أعرف إجابتك عن هذا السؤال :

هل أنت من النوع الذى يلوم سيدنا آدم على أكْل التفاحة، تلك المخالفة التى ندفع كلنا ثمنها الآن؟

أنت مخطئ بلا شك، لأنك لم تنتبه إلى السيناريو كما ينبغى .

هى مخالفة نعم، لكنها كانت واقعة آجلا أم عاجلا، لأن الله اتخذ قراره فى مصير آدم قبل أن يخرج آدم إلى النور، كان القرار واضحًا «إنى جاعل فى الأرض خليفة»، قالها الله، سبحانه وتعالى، للملائكة واضحة، لم يكن قراره باستخلاف سيدنا آدم فى الجنة أبدًا.. أكل من التفاحة أو قاوم شهوته، كان لا بد من أن يستقر على الأرض فى نهاية الأمر .

مرحلة الجنة والتفاحة كانت نقطة التحول فى الأحداث، والهبوط على الأرض كان مشهد الذروة.

السؤال: ولماذا لم يهبط على الأرض مباشرة؟

يقول الحكيم كيكاوس بن إسكندر فى كتابه «كتاب النصيحة» أو «قابوس نامه» بالفارسية: «كان الله قادرًا على أن يعطى الضوء

بغير الشمس، والمطر بغير السحاب، لكن كان الأمر كله على أساس الحكمة، ولذلك لم يخلق شيئًا بغير الواسطة، لأنه إذا انعدمت الواسطة لم يكن هناك ترتيب، وما الحكمة إلا القدرة على الترتيب».

كان ترتيب الأحداث يقضى بأن يمر سيدنا آدم بهذه التجربة، حتى إذا ما استقر على الأرض يكون على دراية بأهمية المرحلة الجديدة التى سيبدؤها ويفهم مغزاها ويصبح قادرًا على إدارتها.

ما الفكرة؟

الفكرة أن كل المسارات فى العالم تبدو صحيحة وطبيعية حتى لو اعتقدت أنها خاطئة، والمحطة التى ستصل إليها يومًا ما مُقدَّرة سلفًا، الفكرة أن تصل إليها وأنت تعرف وتفهم جيدًا أين تقف الآن.

الترتيب أساس الحكمة، لاحظ ترتيب الأحداث دائما ولا تتوقف عند ما تراه الآن فقط، ولكن فكِّر فى ترتيبه بين ما تعيشه منذ

بدأت المشوار، ولا يؤلمنَّك أنْ قضمتَ التفاحة، ولكن فكِّر فيم كان تمردك، وفى كل الأحوال لا بد أن تتفادى تجربة واحدة بعينها وهى «الغرور»، لأن سيدنا آدم خجل مما اعتبره خطأً ولم يكابر فنضج، وحده الشيطان تمسك بغروره فعاش إلى الأبد صبيًّا مراهقًا معذَّبًا .

هذة وجهة نظرى فى الموضوع ومن حقك أن ترفضها وتتمسك بفكرتك ، مثلما تتمسك الأوبرا بمسألة الكرافتة لحضور حفلاتها، أتذكر الآن المشهد جيدا،

شاب أحضر لنفسه وخطيبته تذكرتين لحفل عمر خيرت، لحظات اللطافة التى صنعت من أجلها فترة الخطوبة، على الباب رجل الأمن يخبرهما أنهما لن يستطيعا حضور الحفل، لأن العريس لا يرتدى كرافتة. على جانبى مدخل باب المسرح الكبير كان هناك عديد من هؤلاء الكوبلز يفكرون فى حل للسهرة التى أفسدتها قوانين الأوبرا، نجوت من هذا الموقف، لأننى أصلا لم يسبق لى أن حصلت على تذكرة لحفل عمر خيرت، فهى تنفد فور فتح الشباك، حصلت اليوم على تذكرة هدية من شقيقتى مع تنبيه على موضوع الكرافتة التى استعرتها مربوطة من قريب لى. كنت أتمنى للثنائيات التى أفسدت الكرافتة سهرتهم ساعتين أفضل فى مكان ألطف، بينما عمر خيرت يدخل على الجمهور دخلة واحد من العائلة.

كان النصف الأول من الحفل طاردا لواحد مثلى بأن اختارت الأوبرا أن تقدم السيمفونية الثالثة للموسيقار أبو بكر خيرت فى ذكراه، ساعة أو أكثر تُعزف موسيقى كلاسيكية لا تعبر عنى أبدا، ووقعها على شخصى -مع كامل احترامى للموسيقار الكبير- يشبه وقع محتوى مجلد «شخصية مصر» لجمال حمدان على روح الكابتن إبراهيم سعيد، كان لدىّ مشكلة حقيقة فى التصفيق للعازفين خلال هذه الفترة، فأنا أستعجل التصفيق لأقول للعازفين إنه «تمام، الرسالة وصلت، خلاص بقى.. خلاص»، كنت أترقب قفلات الجمل الموسيقية، لكن شتان بين ما تعوّد عليه الواحد من قفلات موسيقية لأغانى عبد الغنى السيد، وقفلات الكلاسيكيات. كانت المزيكا تخفت تماما فأصفق، أصفق وحدى، فالوصلة لم تنتهِ، وهناك عزف منفرد يأتى من بعيد عبارة عن نقر على أوتار الكمان يمهد لدخول صارخ، ينظر لى رواد الحفل نظرة تأفف، فى مرة كنت متأكدا أن الموسيقى توقفت تماما فصفقت، فأمال الشخص الجالس أمامى رأسه إلى الخلف قائلا «لسه.. لسه».

عمر خيرت كان أول عزف منفرد فى حياة الواحد، لم تشهد الطفولة حرصا على سماع موسيقى مجردة إلا مع مقطوعة «قضية عم أحمد»، التى نجحت أكثر من عم أحمد نفسه، ومن يومها وهو

يحتل مساحات جديدة فى وجدان الواحد، كنت أظنها مساحات شاسعة إلى أن اكتشفت أن فقرة عمر خيرت كلها بكل ما عزفه فيها لم تستغرق سوى خمسين دقيقة، إذا استثنينا المقطوعات التى ألح الجمهور على سماعها مرة أخرى، كل هذا الحضور لعمر خيرت «مايكملش ساعة على بعضها»، هذا هو نصيب الرجل من سنوات عمرى.. ساعة. هناك من قضى فى حياة الواحد أعواما طويلة وخرج دون أثر يُذكر، لكن ساعة واحدة من هذا الرجل جعلت الواحد يسترجع شريط حياته مرة بالضحك، ومرة بالشجن، ومرة بالانبهار، لدرجة أننى شممت داخل المسرح رائحة طلاء الأظافر الحادة التى لصقت بها شريط «قضية عم أحمد»، عندما انقطع داخل الكاسيت منذ خمسة وعشرين عاما، ما كل هذا السحر؟!

تفتحت المسام كلها على يد خيرت، خرجت من المسرح أتمشى بلا هدف إلى أن شعرت بالجوع، فطلبت كميات من الكبدة و السجق تسمح لروحى المحلقة بعيدا بأن تعود إلى الأرض مجددا، كنت أتناول طعامى وموسيقى خيرت تطن فى أذنى بقوة، وكنت أحاول طول الوقت أن أحبس دموعى، ولم أعرف بالضبط إن كانت دموع الموسيقى التى تغلغلت فى روحى، أم أنها دموع الشطة الزائدة فى السجق الإسكندرانى.

تذكرت الرجل الإسكندرانى الذى هاجر إلى الدنمارك و عاش حياة صعبة إلى أن انجبت زوجته أربعة توائم فعاش ملكا لأن الدولة هناك احتضنت تلك المعجزة بالمال و الرعاية و السكن و التعليم ، لم تصلنا أخبار عن أسماء المواليد ، لكنك تعرف طبعا الأسماء التى أطلقتها سيدة أسيوط على توائمها الثلاثة،

عارف لو كانت الأم سمّت التوائم الثلاثة «أحمد وعيد وعبد الملك» مثلا لأصبحت الأمور متزنة، هناك أمّ أخرى ربما فى المدينة نفسها كانت قد سمّت التوائم «محمد وحسنى ومبارك»، هنا أيضا يبدو الأمر عادلا، فالبويضة واحدة ومن المعروف سلفًا أن عيد هو عبد الملك وأن حسنى هو مبارك والحكاية فى بيتها طول الوقت، وفى شارعنا كان هناك ثلاثة أطفال «محمد أسامة، محمد أنور، محمد عكاشة».

وحسب عادة المصريين فى حذف اسم محمد ومناداة الشخص باسم والده صار الأطفال الثلاثة شلة واحدة فى حد ذاتها حتى يومنا هذا، لأن أسماءهم تشكل جملة مفيدة «أسامة أنور عكاشة». لكن الأم التى أنجبت فى أسيوط ثلاثة توائم وسمتهم «السيسى، محلب، عادل» لا تعرف أنها قد ظلمت «عادل» إلى الأبد.

لقد أصبح عادل شخصًا لا مستقبل له داخل حدود هذه الأسرة، سيكبر ويعرف أن البويضة عندما انقسمت خرج منها من يحمل اسم رئيس جمهورية واسم رئيس حكومة وشخص ثالث ظلوا يفتشون له عن اسم مهم يكمل الدائرة لكن دون فائدة، والأم معذورة بلا شك، فهكذا تبدو مصر حاليا، السيسى ومحلب ومواطن لا يعرف أحدًا غير هذين الاسمين لينقل إليه همومه ومشكلاته واستغاثاته وأحلامه، كلنا عادل.

لكننا كبار بما يكفى لتفهم الوضع والتعامل معه، لكن الأطفال حين يشبون قليلا عن الطوق ويفهم كل واحد مرجعية اسمه سيصبح الأمر مربكا، ميزانية البيت لن تسمح بشراء لعبة لكل طفل، عليهم أن يختاروا واحدة تناسبهم جميعًا، سيطلب السيسى وقتها تفويضًا من عادل لإتمام المهمة، ولن يعترض محلب بطبيعة الأمر، فالبيت فى حالة حرب ضد فكرة أن يُحرم الجميع من شراء اللعب لظروف المعيشة الصعبة (هتاكلوا أمكم يعنى؟).

وإذا حدث وامتلكت الأسرة سيارة على قد الحال تتسع كنبتها الخلفية للأشقاء الثلاثة فلن يجلس عادل يومًا إلى جوار الشباك، وإذا اتسع له مرة حجر والدته الطيبة فلن تتكرر بعد أن يخط شنبٌ ما فى وجهه، ستضيق الغرفة عليهم وسيقترح السيسى على الأسرة

مشروع تقفيل البلكونة لتصبح غرفة لن يسمح لعادل بدخولها، لكن قد يسمح له بالاستثمار فيها، قد يتبرع السيسى بنصف مصروفه لصالح الأسرة، لكن فى أقرب عيد أم ومن أجل شراء هدية قيمة سيكلف السيسى شقيقه محلب أن «يلم من عادل» عشان نجيب هدية لماما، لن يشاهد عادل فى التليفزيون ما يرضيه أو يعبر عنه، فلن يُعرض فى صالة المنزل سوى البرامج التى ترضى السيسى فقط، سيعانى عادل كثيرًا وربما يفقد أعصابه كطفل ضاق ذرعًا بإخوته فينطح كل واحد منهما روسية قاتلة، سيبتلع محلب إهانة عادل، لكن من المؤكد أن السيسى لما يكبر هيضربه.

يمكن اعتبار المقطع السابق اقتباسا طويلا سخيفا، ولكن هناك اقتباسات أقصر وأكثر رشاقة مررت بها فى الكتب القديمة ستعجبك، فعندما قال بعض اليهود لعلى بن أبى طالب: ما بالكم لم تلبثوا بعد وفاة نبيكم خمسة وعشرين عامًا حتى تقاتلتم؟، فقال لهم سيدنا على: وأنتم لم تجفّ أقدامكم من البحر وقدرة الخالق فى معجزة شقه حتى قلتم «يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة».

وسئل الشعبى عن شىء فقال: لا أدرى، فعايره القوم قائلين: ألا تستحى من قول لا أدرى وأنت فقيه العراق؟، فقال: إذا كانت الملائكة لم تستحِ وقالت: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا»!

وعندما سئل أحد السلف عن كيد المرأة قال إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأن الله تعالى يقول: «إن كيد الشيطان كان ضعيفًا»، بينما يقول: «إن كيدكن عظيم»، ولما زوجت بوران بنت الحسن بن سهل إلى الخليفة المأمون حاضت من هيبة الخلافة، فلما خلا بها ومد يده إليها قالت له: يا أمير المؤمنين «أتى أمر الله فلا تستعجلوه»، ففهم حالها وأعجب بها.

وفى سوق الجوارى اعترض رجل جاريتين، واحدة بكر والأخرى ثيب لكنها جميلة أيضًا، فاحتار بينهما، قالت له الثيب: لم لا تشترينى؟ فقال لها إن نفسى تميل إلى البكر، فقالت الثيب: ما بينى وبينها فرق فى العمر إلا يوم واحد، فانفعلت إثر كذبها البكر قائلة: «وإنّ يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون»، فحسمت الأمر بسرعة بديهتها.

أما هشام بن عبد الملك فقد أتى برجل اتهم بما يستحق به القتل، فأقبل الرجل يحتج ويدافع عن نفسه بشراسة، فقال له هشام: مذنب

وتتكلم أيضًا؟، فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: «يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها».. نجادل الله جدالاً وتستكثر علينا أن نكلمك؟، فقال له: تكلم بما شئت. ثم عفا عنه.

أما الحسن فقد قال: حسبك أن الله تعالى لم يحتمل الثقلاء حتى أنزل فيهم آية «فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث»، وأعيى أحد الأمراء غباء ابنه وقلة حظه فيه فتأمله وهو يهز رأسه قائلاً: فعلا «ووالد وما ولد».

وكان أحد الأمراء يجلس فدخل عليه الخادم بجارية ثم دخل خادم آخر بجارية ثانية ثم دخل خادم ثالث بجارية ثالثة، فقال لهن: أيتكن جاءت بآية من كتاب الله توافق الحال الذى نحن فيه الآن فهى أولى بالقرب، فقالت الأولى: «والسابقون السابقون أولئك المقربون»، وقالت الثانية: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»، وقالت الثالثة: «وللآخرة خير لك من الأولى»، فأبقى الثالثة.

وعندما دخل رجل على الضحاك قال له: «وجاءكم النذير»

فلم يفهم الرجل، فمد الضحاك يده إلى شعر الرجل ممسكًا بواحدة بيضاء وابتسم قائلا: النذير هو الشيب.

أنا شخصيا أتذكر اللحظة التى صادفت فيها أول شعرة بيضاء، من حسن حظى أنها ظهرت فى ذقنى، من سوء حظى لا مساحات أخرى للشعر فى وجهى، كنت أغسل يدى فى حمام أحد المطاعم، واكتشفتها، يومها شعرت بسعادة ما، سعادة من كان قادما من سفر ووصل إلى مكان ما، لا يعرف أين، لكنه فى النهاية وصل إلى محطة جديدة وهذا أمر مبهج بالنسبة لواحد مثلى على سفر منذ عرف العالم، يومها خرجت من المطعم ففاجئتنى لسعة البرد، في انتظار تاكسى لمحت شاب الدليفرى يجلس فوق (الفسبا) واضعا سماعات فى أذنيه يدخن سيجارة في انتظار أوردر جديد، كان حضوره فاتنا على الأقل بالنسبة لمراهق كان يرى في جلسة عمرو دياب في البرد فوق موتوسيكله في آيس كريم في جليم بابا لحياة صاخبة قدر ما فيها من بساطة و هدوء، ابتسم لى، يعرفنى لكن لا يعرف لماذا هو يعرفنى ؟، اقتربت منه و داعبته طالبا منه أن (أنا عايز أعرف إنت بتسمع إيه ؟)، منحنى السماعات، تحدثنا قليلا كصديقين قديمين، ثم انصرفت، قررت أن أقطع المشوار مشيا بينما أردد الأغنية التي أوقظت شيئا ما في القلب.

أحب (الطيارين)، يطرق بابى الكثيرون منهم، أميز المكتئب صاحب الذقن النابتة، من المتودد بصدق، من الذى يخشى على كرامته أن تقيم مجهوده بجنيه معدنى، من المبالغ في الإحتفاء بالوجبة السعيدة التي وصلت إليك، من الكلاسيكى الذى يعيد عليك ما طلبته قبل أن يسلمه لك فيخبر كل جيرانك بما ستتناوله كطعام للعشاء، من الذى يود أن يعتذر لك عن أنه أفرط في رن الجرس، من الذى اختبر كل ما هو سيء في هذه المهنة و يبدو عليه أنه لم يعد مهتما بأن تكافئه أو تلعنه .

في إحدى المرات تأخر الأوردر فقال لى الموظف (الطيار اتقلب بالموتوسيكل بس هو في الطريق خلاص)،سألته إن كان الطيار اللى اتقلب هو نفسه اللى في الطريق قال: نعم، فتحت الباب له وصممت أن أعرف مدى إصابته ، كانت الخدوش تملىء ذراعه اليمين بالطول، خلع كم الجاكيت دون أن يخلع ابتسامته، قال ساخرا: جايبين لنا موتوسيكلات صيني، بسيطة .. قالها لكنه كان يختزل متاعب كثيرة ،دعك من فكرة البرد أو غلاسة أمناء الشرطة أو قلة العائد المادى، يتحمل الطيار وزر (أنه مش معاه فكة) ،وأن الطعام بارد، أو أن فيه (بطاطس ناقصة)، أو تأخر الأوردر، يتلقى الواحد بالذات في رمضان العقاب الأمثل على وصول الطعام بعد

الآذان، يكسر صاحب البيت صيامه على الطيار قبل أن يفكر لثانية مثلا أن الطيار نفسه صائم و ربما من اللائق أن تكسر صيامه ولو ببعض الماء ،سألنى إن كان الأوردر مضبوط قلت له (وافرض مش مضبوط ؟) .

الإنسان أصله طيار، وكل واحد فينا يعمل دليفرى ويتقاضى أجرا مقابل ذلك، مجرد ناقل للنعمة من مصدرها إلى مستحقها، الطبيب دليفرى ينقل الشفاء من صاحب قرار الشفاء إلى المريض، الكاتب دليفرى يوصل الأفكار لمن يطلبها، ضابط الشرطة دليفرى يحمل الأمن لمن بحاجة إليه، كلنا نوصل إلى بعضنا البعض أشياء لا نمتلكها، قد يراها الواحد متفاوتة القيمة من بعيد، لكن بنظرة قريبة يكتشف أنها كلها مهمة ، فما أرسلت في طلبه الآن هو الأهم في حياتك في هذه اللحظة لأن حياتك لن تستقيم بغيره حتى لو كان مجرد ملح للطعام .

كان الواحد يعتقد أنه يقدم (البقشيش) للطيار، لكن إذا ما اعتبرنا كل إنسان طيارا ستفهم أن ما يتقاضاه عامل الدليفرى أجر مستحق لانه يقوم بشىء لا تستطيع أنت أن تقوم به .

أثناء السير في البرد مر بى كثيرون منهم ،كان الوقت متأخرا،

وكنت أتمنى لهم يصلوا فيجدوا في انتظارهم شخص يعرف قيمة ما يفعلونه، بينما الأغنية التي أسمعنى إياها الطيار تدور في رأسى وعلى لسانى و لا شيء غيرها (يادى يادى يادى المشاعر .. يادى المشاعر).

من المشاعر التى فكر الواحد كثيرا فى أهمية أن يحسمها بداخله، مشاعره تجاه الملحدين، اكتشفت فيما بعد أن الأمر تم حسمه منذ زمن بعيد، حيث لم يكن لدي يومًا ما مشكلة مع الملحدين، كان هذا واحدًا من آثار النبي الذي أبلغنا الرسالة الربانية، {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}، لكنني في الوقت نفسه أؤمن أنه {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}، فالقضاء أننا مهما تفرقنا في هذه النقطة فنحن جميعًا في النهاية لا نعبد إلا إياه، قد ترى «إياه» بحكم ثقافتك أنه الطبيعة أو القوى المنظمة أو العقل الأكبر أو المجهول الغامض، في النهاية هو هناك، هذا يقيني كما أوقن تمامًا أن الشك مفتاح الإيمان، قد يكون سببًا يقودك إلى هذا المربع؛ لأن الوصول لهذا المربع في النهاية لا يتعلق بمهارات فكرية أو معادلات حسابية في نهايتها (يوجد الله)، هذا المربع هدية، {ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا}، ربنا هو الفاعل في (هديتنا) وفي (تزغ قلوبنا)، قد تشعر أن حياتك تمضي وقدم في المربع وقدم خارجه، لكن في النهاية كان الأمر

صريحًا {اعبد ربك حتى يأتيك اليقين}، هناك من فسر اليقين على أنه الموت، وهناك من يراه هو اليقين المقصود، فكانت العبادة هي الطريق الواضح إليه.

أنت حر في معتقدك، حتى في السياسة لم تكن مشكلتي يومًا (أنت محسوب على مين؟)، احتساب شخص على جهة أو طرف أو اسم معين أمر لا يمكن التعامل معه على إطلاقه، كونك عملت ضمن نظام مبارك، أو كنت ثائرًا، أو تعاملت مع الإخوان، كل هذا لا يعني شيئًا كثيرًا، ولا يمكن اعتباره حكمًا نهائيًا، ما يشكل فارقًا حقيقيًا هو الطريقة التي تدير بها أفكارك، منطقك في اختيار الجهة التي تم احتسابك عليها، تفاصيل تجربتك مع هذه الجهة، كل هذه أمور يجب أن نأخذها في الحسبان.

قد أحسبك على نظام مبارك شكليًا؛ لأن الظروف جعلتك تتولى مسئولية أو مهمة تحت مظلة هذا النظام، فكيف تعاملت معها؟ وهل حسب الله الكفراوي مثل محمد إبراهيم سليمان؟ وهل أحمد رشدي مثل زكي بدر؟ الفكرة كيف تصرفت داخل إطار العمل مع هذا النظام؟ كيف كانت مواقفك؟ إلى أي درجة كنت تعي الفساد؟ وإلى أي درجة كنت تكافحه أو تندمج معه؟ هناك إعلاميون بروزا وتألقوا

خلال فترة مبارك يجب أن نفرق بين من يحاول أن يجد لنفسه ثغرة يدخل منها إلى الناس مع بعض الهواء النقي، وبين إعلامي أو إعلامية يقف يدير الندوة بأن يجمع أسئلة من جمهور الندوة يحملها إلى جمال مبارك ليجيب عنها، من الذي فتح أحضانه للفساد ووجد ضالته فيه، ومن الذي كان يحاول أن يتفادى هذه الأحضان قدر استطاعته؟

قد أحسبك على الثورة، لكن هل يستوي من انحاز للهياج الجماعي بمن انحاز لصوت العقل تحت مظلة الثورة نفسها؟ هل يستوي من كانت الثورة هي أسلوب حياته من قبل أن تهل بشائرها بأعوام مع شخص أصبحت الثورة أسلوب حياته؛ لأنه وجد فيها مناسبة لأكل العيش وركوب الموجة؟ هل يستوي من دافع عن الأفكار الأصيلة للثورة وعلى رأسها الحرية، بمن كان ديكتاتورًا في استخدام الحرية التي خلقتها الثورة؟ هل يستوي من احترم إرادة الشعب حتى لو خالفت معتقده لأن الثورة في النهاية لصالح الشعب، بمن هدد الشعب بالتكدير إذا ما خالف رغبته التي يؤمن أنها الثورة بعينها؟ هل يستوي من خرج من الجحور على حس الثورة بمن ثار ليخرج الناس من جحورهم، ثم ابتعد عن المشهد بعد أن أفسده الجميع؟

مددت يدك وتعاونت مع الإخوان سواء بالتعاون في الانتخابات أو بقبول منصب في عهدهم أو حتى بعصر الليمون، هل انتهى المشهد فأقيمه وأنا مستريح الضمير؟ بالعكس، كان هذا هو أول خيط في المشهد، لكن التقييم يجب أن يبدأ بعد انتهاء التجربة، هل كنت تخدم الإخوان أم أنك تخدم بلدك في ظل معتقد وطني ما؟ (حتى لو أثبتت الأيام خطأه)، وبعد أن استقرت أقدامهم هل كان واضحًا لك ما يفعلونه أم كنت مغيبًا؟ وإذا كان واضحًا لك فهل تماديت معه ودافعت عنه في دفاع عن وجودك ومصالحك أم أنك قررت أن تسحب يدك من أياديهم، حتى تقييم المؤمنين بفكر الإخوان لا يمكن أن يتوقف عند كارنيه عضوية الجماعة، فانظر من انسحب ومن ابتعد ومن اعترض ومن عارض ومن أعمل مخه ومن قرر ألا يسير مع القطيع، وهو يرى القطيع يقود نفسه ومن حوله إلى الهاوية.

ما أسهل الإعدام بـ «هذا كلام إخوان»، وهذه «نظرة فلول مبارك»، وهذه «طريقة نكسجية ٢٥»، أشعر أن ما نحتاج إليه حاليا هو أن نعيد التقييم والتمييز لنستعيد كنوز بشرية حقيقية ورموز ردمناها تحت تراب مراهقة سياسية غاشمة، أعرف أنها صعبة على حضرتك والظروف من حولك تزن فوق راسك لاتباع عكس

هذه الفكرة، لكن إن لم تكن قادرًا على تطبيق الفكرة على مستوى رموز المجتمع فطبقها على الأقل على رموز حياتك الشخصية لتعيد إليها من نفيته عنها لأسباب سياسية، الشخص السليم يظل سليمًا مهمًا وضعته يد التجربة أو وجهة النظر في أماكن مختلفة، أو كما قيل: (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام).

عندك مثلًا منير مراد وإن كان انتقل بين ديانتين ولم يعرف الجاهلية، من اليهودية إلى الإسلام، أذكر أنه في عام ١٩٦٤ وبعد انتشار التليفزيون في مصر دخل الفنان منير مراد على رئيس التليفزيون وقال له: «أنا عندي فكرة جهنمية»، استقبله المسئول بحفاوة واعتبر انضمام مراد للتجربة مكسبًا، وسأله عن الفكرة.

كان مصطلح الفكرة الجهنمية هو مدخل مراد على أي فنان، قبل ذلك بأعوام طويلة وقف يقلد الفنانين للمخرج أحمد سالم في استراحة الفيلم الذي يصوره مع شقيقته الجديد ليلى مراد، سأله أحمد سالم: «أنت بتشتغل إيه دلوقتي؟». فقال له إنه يتاجر في كل شيء، وإنه حاليًا يشارك أنور وجدي في أكبر صفقة أمواس حلاقة في مصر، سأله عن مصدر رأس ماله، فقال له: إنه جمع مبلغًا وفيرًا من صفقة بطاطس سابقة، نظر له سالم مندهشًا من قدرة مراد على

تجاهل الفنان الموجود بداخله والانشغال بالبيزنس، وطلب منه أن يشارك في الفيلم كمخرج مساعد.

لم يكن في نية منير مراد أن يحترف الفن بالرغم من أن العائلة كلما سألت عن سر اختفائه وهو طفل كانت شقيقته تخبرهم أنه مختبئ في الدولاب محتضنًا عود والده الملحن يعزف ويغني، واعتقد الجميع أن حبه للفن هو سر فشله المتكرر في الدراسة، لكنه فاجأهم بأنه تخلى عن الاهتمام بدراسته وهجر الكلية الفرنسية من أجل احتراف تجارة البسطرمة وتوزيعها على البقالين إلى أن تعرف على أنور وجدي من خلال شقيقته عندما زاره في موقع التصوير وقام على سبيل المزاح بلعب دور عامل الكلاكيت فأقنع وجدي بتوسيع النشاط، وفي إحدى المرات كانت هناك مبالغ مستحقة على أنور وجدي وفات موعد سدادها فدخل عليه مراد غاضبًا فقال له وجدي: «ما فيش فلوس.. تلحن لشادية؟»، اندهش مراد من العرض فقال له وجدي: لحن لها أغنية في الفيلم الذي أصوره معها وأنتجه واعتبر أجرك عن التلحين هو الدفعة المستحقة، وافق مراد فلحن لها أغنية «واحد اتنين»، ونجحت نجاحًا ساحقًا، كان مراد مليئًا بالموسيقى لكنه لم يكن مهتمًا بالأمر ربما لشعوره أن والده زكي مراد وشقيقته ليلى قد سبقاه إلى عالم النجاح والشهرة، وأنه لن

يحقق أكثر مما حققاه، بخلاف أنه مهتم بموسيقى الجاز أكثر من اهتمامه بالموسيقى الشرقية، وهذا نوع من الموسيقى لا سوق له في مصر، لكن بعد مرور سنوات طويلة كان منير مراد يقول في حوار صحفي: إن نجاحه الموسيقي مع كل نجوم مصر كان نتيجة محبته لنوعين من الفن؛ الجاز، وفن تلاوة القرآن.

نجاح أغنية شادية جعله يبدأ طريقًا لم يكن يقصده، فانتهى به الحال واحدًا من صناع النهضة الموسيقية في مصر مع بليغ والموجي والطويل، وبالرغم من نشأته في عالم التجارة إلا أنه لم يتاجر بالفن يومًا، زاره فطين عبد الوهاب في منزله حاملًا شكوى بعض المطربين من أن منير يرفض التلحين لهم، قال له فطين: إن كنت غير مقتنع بهم فعلى الأقل عليك أن تعمل لتوفر لنفسك دخلًا، سحبه مراد من يده إلى غرفة المكتب وفتح له أحد الأدراج وبه مبلغ من المال قال له مراد: «هذه مصروفات السنة، اتعامل في حدودها هي فقط وكأنني توقفت عن التلحين حتى لا أضطر لتقديم ما لا أرضى عنه».

بدأ حياته يهوديًا اسمه «موريس»، وأنهاها مسلمًا اسمه منير، بدأها فاشلًا في الدراسة وأنهاها بتلحين السلام الجمهوري لكل ناجح

في الدراسة في كل زمان ومكان «وحياة قلبي وأفراحه»، بدأها من قلب الشهرة حيث عائلته الفنية الناجحة، وأنهاها في صمت دون أن يلتفت أحد لرحيله عندما فارق الحياة بعد اغتيال السادات بأسبوع، رحل بينما مصر كلها مشغولة بمستقبلها الغامض.

دخل مراد على مدير التليفزيون قائلًا: «أنا عندي فكرة جهنمية.. فكرة برنامج عايز أقدمه»، سأله عن الفكرة فقال له منير مراد: «عايز أقدم برنامج أقرا فيه أهم الأخبار والمقالات اللي في جرايد النهارده»، اندهش المسئول من الفكرة وكان يعتقد أن مراد سيقدم برنامجًا فنيًا حافلًا بالنجوم، وسأله عن العلاقة بينه وبين هذا النوع من البرامج، فقال له مراد: إنه سيقدم الأخبار مغناة، ثم وقف في منتصف الغرفة ممسكًا بالجريدة وغنى له وهو يرقص «عبد الناصر في باكستان..عبد الناصر في باكستان»، امتقع وجه المسئول، وتلتفت حوله رعبًا، ثم شكر مراد، وطلب منه ألا يزور مبنى التليفزيون من جديد.

كان منير مراد محظوظًا بابتعاده عن التليفزيون، أنا شخصيًا أكره ٣ أجهزة التليفزيون والتكييف والموبايل.. لا أتصور ما أصابني بفعل الموبايل.

كنت أتجول داخل قائمة الأسماء على هاتفي المحمول فوجدت اسم (علي مديحة)، توقفت كثيرًا أمام هذا الشخص الذي سجلته على اسم امرأة ما ربما أمه أو زوجته أو صديقة مشتركة، حاولت أن أتذكره ففشلت تمامًا، من علي هذا؟ أو بالأحرى من مديحة؟

قبل خمسة عشر عامًا من هذه الواقعة كنت بلا هاتف محمول، تمسكت بنظرية صديقي بخصوص خطورة اقتنائه (ده بيجيب الكلام من الهوا)، اطمأن قلبي للتليفون الذي يأتي بالكلام عبر المسارات الواضحة (الأسلاك)، لكن موضوع الهواء كان مثيرًا لريبة ما.

كنت أفضل حالًا من هذه اللحظة، على الأقل كنت أسجل الأسماء في نوتة تليفونات صغيرة بشكل محترم لا يدعو شخصًا ما إلى الشك فيك إذا ما رن هاتفك إلى جواره فألقى نظرة على الشاشة فرأى (علي مديحة).

كانت الذاكرة أفضل، أحفظ غيابيًّا أرقام تليفونات كل من يهمني أمرهم (أقارب، أصدقاء، عمل، سوبر ماركت)، إذا خانتني ذاكرة الحفظ مرة فذاكرة أصابعي لا تعرف الخيانة، إذا قلت لها الصيدلية، فهي تعرف جيدًا الطريقة التي ستقفز بها من رقم إلى رقم فوق لوحة مفاتيح الهاتف الأرضي، أحيانًا يسألني شخص عن رقم ما

فإذا شككت في صحته لدى نسخة على أصابعي، أضرب الرقم و(السماعة محطوطة)، وهكذا يتضح إن كان آخره ستة ولا تسعة.

اليوم لا ذاكرة حفظ ولا ذاكرة أصابع، يضرب الواحد الرقم في حياته كلها مرة واحدة، ثم يسجله ليظل يستدعيه باسم صاحبه دون أن يعرف حتى إذا كان ٠١٠ أم ٠١١ (هذا في حالة عدم اللجوء لقاعدة رن لي أو ابعتلي رقمه في رسالة)، تلفت الذاكرة الرقمية الأمر الذي أدى إلى ظهور خدمة الأرقام الخدمية القصيرة التي لا تتعدى خمسًا بشرط أن يكون بينهم أربع متشابهين على الأقل حتى يسهل استدعاؤها في ذاكرة نسخة جديدة من البشر أقصى ما يمكن أن تسجله من الأرقام هو رقم عيد الزواج بالنسبة للنساء ورقم فانلة اللاعب المفضل بالنسبة للرجال.

فتح الموبايل باب البيزنس أمام كثيرين، لكن النصيب الأكبر كان من نصيب «شيطان الموبايل»، فكل جهاز له شيطان تدرب جيدًا على أن يلعب في دماغك، فإذا اتصلت بأحد لم يرد يصلك فورًا تبريرات كلها مهينة، تقاومها حتى تنهار إذا مر وقت دون أن يعاود من هاتفه الاتصال، ربما تستحضر تاريخ علاقتكما الشخصية من أولها مركزًا على كل ما فيها من مشاكل نادمًا على أنك كنت

مخلصًا ذات يوم، تظل الأفكار الشيطانية تهرسك إلى أن تدفعك إلى مغامرة إعادة الاتصال، لا يصلك رد، فتصاب بهيستريا تجعلك لا تتوقف عن الاتصال دون توقف، يعلو نبضك وتحمر أذناك، ويا ويل من تتصل به إذا تصادف أن أعطى هاتفه مشغول في ثغرة بين اتصالاتك، تفكر في نص الرسالة الموجعة التي ستكتبها له، يعرض عليك شيطان الموبايل صياغات عدة على أن تختار أنت أكثرهم سفالة وإيذاء، تهم بالكتابة لكن الشيطان يراجعك في الخطوة مدخرًا لك الفكرة الأكثر دناءة (كلمه من نمرة غريبة).

منذ اللحظة التي دخل فيها الاتصال التليفوني منطقة معرفة المتصل قبل الرد وأصبح الأمر شخصيًا للغاية مع تضخم ذاتك وغرورك باسمك (شايف اسمي على الموبايل قدامه وما بيردش).. مأساة.

لكن المأساة الأكبر أن يرن الموبايل فتنظر إلى الشاشة فلا تعرف ما هو التصرف الأمثل والمتصل شخص لا تعرفه اسمه (على مديحة).

الحفاظ على الموبايل قناعة مستقرة ربما تحتاج إلى مراجعة قد تقود إلى التغيير.

قال أحد الخواجات: راقب نفسك في كل مرة تفكر فيها، فربما يكون كل ما تفعله هو إعادة ترتيب لأحكامك المسبقة المستقرة في عقلك، والواحد يتمسك بكل ما استقر في عقله بطريقة مقدسة، ويخشى إن راجعه بصدق أن يفاجأ بأنه أهدر عمره أو أهدر فرصًا ما نتيجة ما كان يعتقد أنه جواب نهائي صحيح.

مراجعة الأفكار تنطوي على قدر ما من المشقة، على الأقل مشقة الاعتراف بالخطأ أو مشقة جهاد النفس المغرورة بما استقر في يقينها، لذلك تبدو مراجعة الأفكار المستقرة من شيم المغامرين العظماء، الذين لا يضيرهم أن يكتشفوا عمق المسافة التي قطعوها في طريق لا يفضي إلى شيء، ولا تعرف اللوعة طريقها إلى قلوبهم إذا ما تأكدوا أن عليهم أن (يلفوا ويرجعوا تاني)، تلك اللوعة والحسرة التي تصيب العاديين يترجمها المغامرون إلى أمل ما على الأقل في شكل جديد للحياة سيصل بهم هذه المرة إلى حيث يحلمون.

أو كما قال برنارد شو: «أولئك الذين لا يغيرون عقولهم لا يغيرون شيئًا»، ستظل تدور في المتاهة نفسها حتى تصل إلى النقطة التي تصل إليها كل مرة محملًا بمقولة صلاح جاهين: «وأخرج وحيرتي أشد مما دخلت»، أرقى الأفكار تحتاج إلى المراجعة،

إخلاصك التام لفكرة الحرية يحتاج لمراجعة، لأنك في لحظة ستتحول إلى عبد لفكرة، فماذا أضافت لك فكرة الحرية وهي تسحبك مكبل بالسلاسل والجنازير، هل راجعت إيمانك المطلق بالحرية قبل أن يكون إيمانك بها هو إيمان بالفوضى أو على أقل تقدير تجسيد للعبودية؟

أراجع دومًا أفكاري المستقرة في كل شيء بداية بالطعام الذي أحبه نهاية بالأشخاص الذين لا أحبهم، ما بين اكتشاف لطعام ضيعت عمري دون أن أستمتع به نتيجة عقدة من الطفولة وبين التخلص من كراهية ما تؤرقني ولا تؤرق طرفها الثاني تتجدد الحياة، بداية من مطربي المفضل نهاية بالأفكار السياسية ، ما بين عوالم أخرى من الفن كنت أجبن من أن أكتشف حلاوة ما فيها وبين ربط عشوائي بين الأفكار والمروجين لها يحرم الواحد من نظرية ما سليمة تمامًا، ولكن كل ذنبها في من قام بتطبيقها، بداية من الإخلاص لحلم ما والسخرية من طريقة حياة الآخرين، ما بين اكتشاف أن حتفك في أن يتحقق هذا الحلم لأنك لا تقوى على توابعه وبين التعرف على الأماكن التي يخبئ فيها هؤلاء الآخرون الذين لا يعجبونك سعادتهم التي لم تجربها من قبل.

في كل مرة تراجع فيها أفكار يولد بداخلك شخص جديد بحياة جديدة، تخسر نفسك عندما تحول أفكارك إلى أصنام تتعبد في محرابها، لكن عندما تتركها حرة في حركتها ستحقق حلمًا قديمًا داخلك تنساه كثيرًا، حلم أن تطير بجناحين.

الجملة الأخيرة (أن تطير بجناحين) يجب الاعتراف بأنها لا تخلو من مبالغة، وهي من آفات الكتابة، آفة ما أن أقع فيها سهوًا حتى يبادرني قارئ ما بطلب عنيف اللهجة أن (اصمت أحسن لك)، أود أحيانًا أن أطلب من القارئ أن يحدد لي نوع الصمت الذي يرضيه، فهناك الصمت الانتخابي: وهو اللحظة الوحيدة التي يتبادل فيها رئيس الجمهورية المحتمل موقعه مع الناخب، هي اللحظة الوحيدة التي يكفل فيها القانون للناخب أن يقول للرئيس المحتمل: اخرس خالص، وهي لحظة قصيرة العمر يدفع الناخب ثمنها بعد ذلك لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد.

وهو يختلف عن (الصمت الزوجي) وهو نوعان؛ نوع فرضه التفاهم العميق الذي لم يعد معه للكلام (لزمة)، ونوعه فرضه الغياب التام للتفاهم، الغياب الذي لم يعد للكلام معه (لزمه) برضه، وصحيح أنه حسب قول سيدنا النبي: «من صمت نجا»، لكن الصمت في الزواج

ليس دائمًا طوق النجاة، فكما يقول الخواجة: إن زوجتك ستعاقبك على كلام قلته بالقوة نفسها التي ستعاقبك بها على كلام ما قلتوش.

عمومًا إذا تم العقل نقص الكلام كما يقول سيدنا علي، ففي هذه الحالة يصبح الكلام أقل قدرة عن التعبير عما تراه، إذا كنت محظوظًا فسيؤتيك الله الحكمة لتعبر عما استقر في عقلك، ولكن المفارقة أن الحكمة ستقودك من جديد للصمت، فستعرف أن الصمت هو أول العبادة، وأول التواضع، وأول ذكر الله. كما يقول أنس بن مالك، أو كما قال وهب بن الورد: إن تسعة أعشار الحكمة صمت، والعشر الباقي في العزلة، ستجعلك الحكمة تختاره.

لكن هناك صمت إجباري، (صمت التوبيخ): وهو ألا تمتلك دفاعًا عن نفسك لأنك لم تترك ثغرة يمكنك أن تهرب منها إلى حكم البراءة، وهو صمت لا يمكن كسره إلا بـ (الاعتذار)، لكن احذر أن يكون اعتذارك جريمة جديدة أو كما يقول كيمبرلي جونسون: «لا تفسد الاعتذار بالتبرير»، أو كما يقول جي كيه شسترتون: «الاعتذار البارد يعتبر إهانة ثانية»، هذا صمت نفسي، لكن هناك صمت تشريحي وهو (صمت ما بعد طبيخ الأم): وهو أن تأكل بشراهة وشهية منقطعة التفكير، تمتلئ المعدة وتنتفخ، يضغط الانتفاخ على

الحجاب الحاجز، يتقوس الحجاب الحاجز بما يكفي لدفع البلعوم إلى أعلي قليلًا، أعلى البلعوم يوجد لسان المزمار المسئول عن إصدار الأصوات، يؤدي الدفع المتتالي إلى تقدم لسان المزمار باتجاه اللغاليغ حيث يلتصق بها تمامًا، تصبح منطقة الصوتيات كتلة واحدة ملتحمة لا يمكن أن يصدر عنها أي أصوات، المحظوظ فقط من يستطيع أن يفك هذا الالتحام بـ (تكريعة) تسعده.

هناك (صمت الشياطين)، وهو صمت الساكت عن الحق، وهناك (صمت الغباء) وهو يحدث نتيجة حوار مع شخص غبي يرفع درجة حرارة أسلاك المخ فتحترق الشريحة المسئولة عن ترتيب الحروف لعمل جملة مفيدة، أحيانًا لا يمكنك استبدال الشريحة، فانتقِ جيدًا من تحاوره، وهناك (صمت النكتة) فحسب قانون النكتة لا بد من الصمت حتى تعرف (آخرها)، لكنك في النهاية تعرف جيدًا أنها مجرد (نكتة).. راجع الصمت الانتخابي.

عمومًا محبة القارئ نعمة كبيرة، انتظرها الواحد كثيرا، بالمناسبة هناك أشياء يجب عليك أن تنتظرها لأنها لن تنتظرك.. القطار مثلًا.

لكن هناك أشياء لا يليق بها الانتظار.. الرزق مثلًا.

لا بديل عن أن تتحرك باتجاهه.

الحركة لن تخلق الرزق طبعًا، ولكن كما قال الشيخ الشعراوي مرة، الحركة لن تخلق شيئًا ولكن الحركة هي (بطاقة تموين)، البطاقة لن تخلق (زيت أو سكر)، ولكن بدونها لن تستطيع أن تصرف نصيبك منهما.

الامتناع عن الحركة في انتظار أن يسقط رزقك في حجرك هو سوء أدب مع الله، فأنت هنا تختبر الله وتختبر تقسيمه للرزق، الأدب أن تتحرك وأنت توقن تمامًا أن رزقك ليس مكافأة على الحركة لكنه التماس للأسباب دون أن تقع في خطيئة عبادة الأسباب ونسيان المسبب.

ستتحرك لأنه يريد منك أن ترى معجزته فيك، لكن يقينك أنك تتحرك في الطريق الصحيح هو أيضًا سوء أدب، أبى الله أن يرزق العبد إلا من حيث لا يعلم.

الرزق أكثر مهارة منك، لديه خط سير أوضح من خط سيرك.

أنت تبحث عنه كمحطة وصول في نهاية الطريق بينما هو ينتظرك في تقاطعات الطرق.

هو جاد في البحث عنك أكثر من جديتك في البحث عنه،

ومعرفة أن ما وقع بين يديك هو رزق تحتاج منك لذوق عالٍ، فكل أمر المؤمن خير، والرزق خير، وكما يقول الأكابر: البلاء هو المسافة بين خير وآخر، وكل خير بلاء، وكل بلاء خير..

قد تكون أضعف من أن تتحرك، فيرزقك الله من باب (الفضل)، كما يقول الإمام علي، لكنه يرزقك من باب (العدل) لأنك سعيت، وقدرتك على السعي مع التخاذل عنها هو اختبار لهذا العدل

قال الأكابر: «اهتمّ ولا تهتمّ».

أي لا بد من أن تظهر اهتمامك دون أن يجعلك هذا تحمل الهم، عرفت أن رزقك لن يذهب إلى غيرك فودعت القلق دون أن تودع الهمة.

افتح الرادار ولا يقلقك غياب الإشارة، إشارات الله لا تنقطع وهي نعم كبيرة، وهو يقول: لا بد لنعمتي من آخذ، ولو فكرت قليلًا لفهمت الإشارة العظيمة الملهمة في أنه خلق الجنة أولا ثم خلقك.

التقطت الإشارة بنجاح، وهنا فقط هدأت الزنة تمامًا.

شكر خاص:

- كتاب الحكم العطائية .. مولانا ابن عطاء الله السكندرى .
- كتاب زبدة الفتوحات المكية .. سماحة الإمام صلاح الدين التجانى .
- قاموس العادات والتقاليد المصرية .. أحمد أمين .
- كتاب أصداء السيرة الذاتية .. نجيب محفوظ .
- كتاب حدث فى بدء الخليقة .. أساطير من الشرق الأقصى ترجمة : غادة عبد المنعم .
- كتاب كرة القدم بين الظل و الشمس .. ادوادر جاليانو .
- الأقوال العالمية مقتبسة من كتاب «لا تتزوج من كبيرة القدمين».
- كتاب من دروب الحج في مصر .. محمد على السيد .
- الاقتباس من القرآن الكريم .. أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى.

- كتاب الأساطير الدينية فى مصر .. د.عمرو عبد العزيز منير .

صدر للكاتب:

١. مشوار لحد الحيطة . أشعار بالعامية المصرية.

٢. لابد من خيانة . أشعار بالعامية المصرية.

٣. عرفوه بالحزن . أشعار بالعامية المصرية.

٤. بالقرب من نهر بيدرا جلست وبكيت . ترجمة لرواية باولو كويلو.

٥. وضع محرج . أشعار بالعامية المصرية.

٦. شكلها باظت . ألبوم اجتماعى ساخر.

٧. كابتن مصر . ألبوم ساخر للمراهقين .

٨. ابن عبد الحميد الترزى . ألبوم سينمائى ساخر.

٩. جر ناعم . قصص و أشعار.

١٠. رصف مصر . ألبوم ساخر مصور.

١١. قهوة و شيكولاتة . أشعار بالعامية المصرية.